www.ibtesamh.com/vb
نسخة معالجة وصفحات فردية
مع الداعية الإسلامي

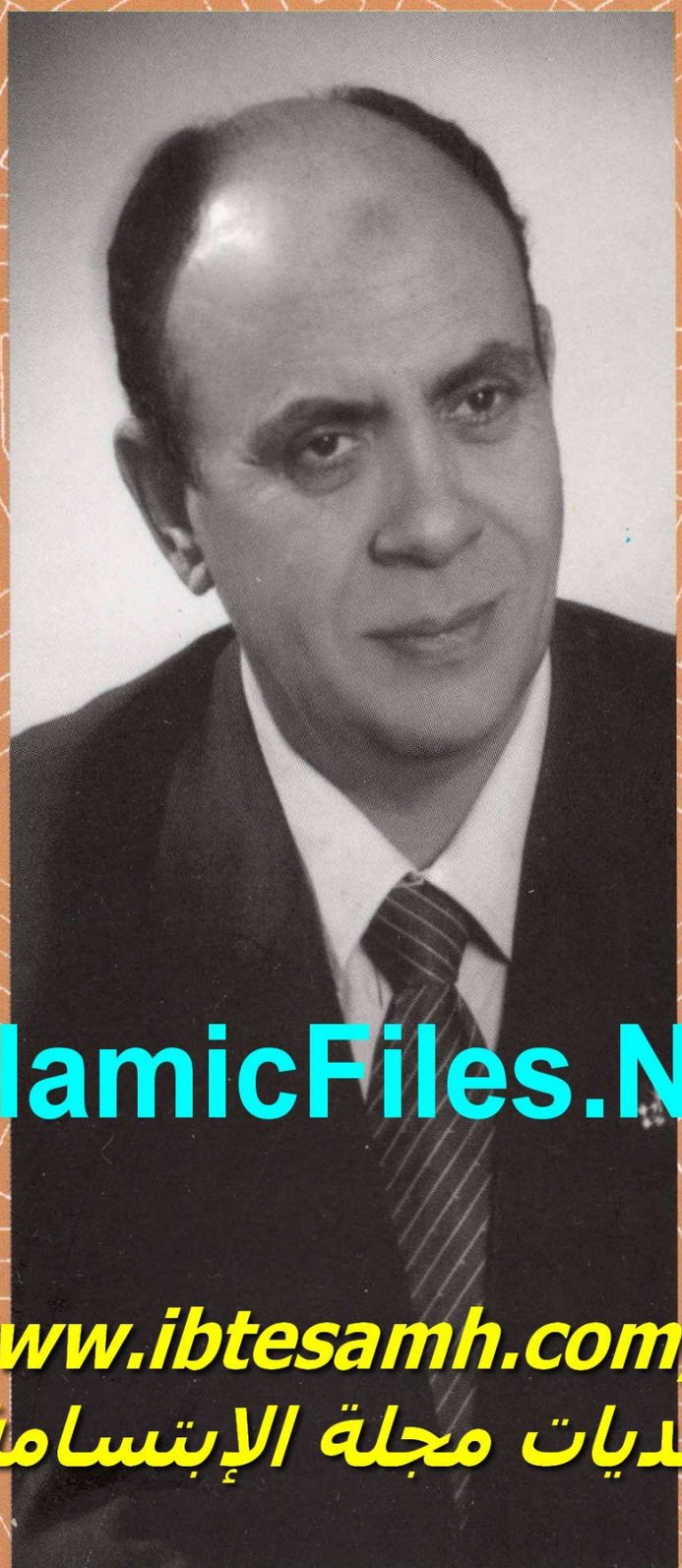

islamicFiles.NeT
www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

الشهوات
بين الحلال والحرام

أ.د. مبروك عطية

الدار المصرية اللبنانية

www.ibtesamh.com/vb

التحويل لصفحات
فردية والمعالجة
فريق العمل بقسم
تحميل كتب مجانية

بقيادة
** معرفتي **

www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

شكرا لمن قام بسحب الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، سيدنا محمد ، وعلى آله الطيبين وصحبه الغر الميامين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد

فهذا مساء الأربعاء 25/ 4/ 2012 حيث أكتب مقدمة هذا الكتاب (الشهوات بين الحلال والحرام) بالمدينة المنورة . بعد أن صليت المغرب في الحرم النبوي الشريف ، ووقفت بين يديه - ﷺ - وإلى أن واصلت الخطا إلى مقامه الشريف وصاحبيه أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – ووصلت بعد ساعة من الزمان ، حيث الزحام الكبير وبطء الخطا ، الذي لم يكن سببه كثرة الناس فحسب وإنما سببه وقوف المئات لتصوير الروضة والمنبر بالهواتف المحمولة ، وتلك من الشهوات المعاصرة المستخدمة التي أضيفت إلى الشهوات الموروثة من قديم .

ولا شك أن الشهوات تتجدد ، شأنها شأن كل شيء في الحياة ، ولكن الأصل واحد ، وهو المال الذي اشترينا به شهواتنا الحديثة من هواتف ، وغيرها .

والكتابة في هذا المكان لها روح تختلف عن غيرها في شتى بقاع الأرض ؛ لأنك تكتب إلى جوار حبيبك ، ومن كتب إلى جوار حبيبه أو قرأ . أو أكل أو شرب ، أو نام ، إنْ تجرأ النوم على عينيه ، شعر بطعوم مختلفة لذلك كله ، بل إنه إذا تنفس الهواء شعر بأنه شيء مختلف يدخل رئتيه عن هذا الهواء الذي يملأ الآفاق في البعد عنه ؛

www.ibtesamh.com/vb

لذلك أردت أن تكون هذه المقدمة مباركة بهذا المقام الطيب ، وأردت ألَّا أحرم القارئ عبقها ، وريحها الطيبة ، ونسيمها المعطر بجوار المصطفى المعصوم - ﷺ .

وموضوع الشهوات بين الحلال والحرام من الموضوعات المهمة ؛ لأنه شاع بين الناس أن الشهوات كلها حرام ، ومتى ذكرت الشهوة ذكرت النار ، وليس ذلك صحيحًا على الإطلاق ، فإن قال قائل : ألم يرد في الحديث : «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ؟**» فالجواب : بلى ، ولكن ذلك من فقه الأساليب بمكان ، فالجنة محفوفة بالمكاره بالنظر إلى الأعمال التي تؤدي إليها من الصبر في نهار الصوم عن شهوتي البطن والفرج ، وعند الغروب تصبح هاتان الشهوتان حلالًا ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ... ﴾[1] إلى أن قال الله – تعالى - في الآية نفسها من سورة البقرة : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ .

وقد عرف الفقهاء الصوم بأنه لغة : الإمساك ، وشرعًا : الامتناع عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس . تتأمل ذكر الشهوة هنا في هذا التعريف ، وفي غيره ، فهي مثبتة وليست حرامًا في الليل ، وإنما هي ممنوعة في النهار للصائم ، وهذا من المكاره ؛ لأن المكروه هو الذي يؤدى ، ويحتمل على شيء من الألم ، والمعاناة ، ومن ذلك إسباغ الوضوء على المكاره . خصوصًا في الشتاء ، إذا كان الماء باردًا ، ومن ذلك أنْ يخرج المرء ماله في وجوه الخير ، فليس ذلك سهلًا عند جميع الناس ، ولكنه سهل عند مَنْ وفقه الله - تعالى - لرضوانه ، وقد قال تعالى : ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾[2] وقال جل وعلا : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ

(1) البقرة : 187 .

(2) البقرة : 177 .

www.ibtesamh.com/vb

عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾[1] وبذل الجيب فيه مشقة بلا شك ، وأن يقوم المرء قبيل الفجر من أجل صلاة الفجر ، وهي والعشاء أشق صلاتين على المنافقين وقد قال الله - تعالى - في عباده المحسنين : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[2] .

ومعنى حفت النار بالشهوات ، أي بالشهوات التي يتبعها المرء من أهل النار دون نظر في كونها حلالًا أو حرامًا، وصدق الله العظيم إذْ يقول : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[3] . ويقول - عز من قائل : ﴿ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾[4] .

فاتباع الشهوات معناه أن تكون الشهوات إماما ، والمرء مأمومًا ، يجري وراءها أينما ذهبت ، ويشتريها بأي ثمن ، ويلهث وراءها ، فهي دينه وديدنه ، والشهوات لا تنام ، ولا تستريح وكذلك من يتبعها ، فهو لا ينفك عنها ، ولا يتركها ، يذكرك ذلك بالتوابع في النحو العربي ، كالمعطوف ، والبدل ، والنعت إلا أن بعض التوابع قد يقطع ، فيرفع ومتبوعه غير مرفوع لغرض بلاغي ، من مدح ، أو ذم ، أو اختصاص حال قطعه بالنصب ، لكن تابع الشهوات لا ينقطع عنها ، وقد ينقطع في الظاهر ، بأن يجلس مع الصالحين لأن فيهم صالحة ، أو ذا مال وجاه ، وقد حسم النبي - ﷺ - المسألة في قوله الذي رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب

(1) الإنسان : 8 .

(2) الذاريات : 17 - 18 .

(3) مريم : 59 .

(4) النساء : 27 .

www.ibtesamh.com/vb

- رضي الله عنه - : «**إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» .

وقد يرتدي المرء ثوب الصلاح ، وهو متبع الشهوات مثل المرائي ، الذي لديه شهوة الرياء ، فهو يرتدي ثوب الصلاح من أجل تحقيقها ، حتى يقال إنه من الصالحين المتصدقين وسوف يقول الله - تعالى - له : «لقد كنت تعطي ليقال : كريم وقد قيل ، وكنت تقرأ ليقال : قارئ ، وقد قيل ، وكنت تقاتل ليقال : شجاع ، وقد قيل» . ويقول للملائكة في هؤلاء جميعًا : «اذهبوا بهم إلى النار» ؛ لأن الله - تعالى - لا يقبل من العمل إلَّا الخالص لوجهه الكريم ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[1] .

وفكرة هذا الكتاب تدور حول حلال الشهوات وحرامها فمن الشهوات ما هو حلال ، كشهوة النساء ، وسبيل حلها الزواج ، وشهوة المال وسبيل حلها كسبه من حلال ، وإنفاقه في مباح ، والاعتدال في هذا الإنفاق .

ومنها ما هو حرام ، كالزنا ، وسفك الدماء بغير حق ، وأكل أموال الناس بالباطل خصوصًا اليتامى ، وقد قال المحققون من العلماء : ليس هناك شهوة حرام إلَّا وفي الحلال مثلها ، كشهوة النساء ، كما ذكرت ، تكون حرامًا عن طريق الزنا ، وتكون حلالًا عن طريق الزواج ، وشهوة المال تكون حرامًا عن طريق السرقة ، والنصب ، والغش ، والتدليس ، وتكون حلالًا عن طريق العمل المشروع ، والاستثمار الحلال ، والأمانة .

(1) الزمر : 3 .

www.ibtesamh.com/vb

وسوف أعرض هذه الفكرة من خلال بيان الحلال من الشهوات والمحرم منها إلى أجل ، وبيان الحرام منها ، وما اسْتُحْدِثَ منها ، سائلًا الله - عز وجل - أن يرزقنا حلالها وأن يجنبنا حرامها إنه ولي ذلك والقادر عليه وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

أ. د. مبروك عطية

www.ibtesamh.com/vb

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الأول

الشهوات الحلال

نعم ، الأصل في الأشياء الإباحة ، هذه قاعدة فقهية معروفة ، فالأصل في الأشياء ، ومنها الشهوات ، وإن شئت فقل : الأصل في الشهوات الإباحة ، والحرام استثناء وهو ما منعه الشرع بنص قطعي الدلالة ، من كتاب وسنة . والمتأمل في الحلال والحرام من الشهوات وغيرها يجد أن الحرام بالنسبة إلى الحلال قليل جدًّا ، ومن ثم كان التوجيه النبوي أن ما أمر به الشرع أُخِذَ منه المستطاع ، وما نهى عنه فلابد عن الانتهاء عنه ؛ لأن الحلال كثير ، لا يستطيع أي إنسان أن يأتي عليه كله ، فأنت لا تستطيع أن تأكل جميع صنوف اللحم في وقت واحد ، ولا أن تأكل جميع صنوف السمك كذلك ولا أن تصلي الليل كله ، ولا أن تزور جميع المسلمين ، وجميعهم إخوانك ، ولكن الأقرب فالأقرب ، والأقربون أولى بالمعروف .

وقد سألت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - رسول الله - ﷺ - عمن تعطي من الجيران قطعة لحم ، ليس لديها غيرها ؛ فقال لها - ﷺ - أقربهم إليك بابًا ؛ أي إن الأولى بتلك القطعة من اللحم أقرب الجيران إلى المقطوع بابًا والله - عز وجل - يقول : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

---

(1) الأعراف : 32 .

www.ibtesamh.com/vb

وفي الآية بعدها يقول الله - عز وجل - : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وختام الآيتين بـ ﴿ يَعْلَمُون ﴾ و ﴿ تَعْلَمُون ﴾ في التدبر للنظم الجليل مسألة مهمة جدًّا ؛ فإن من العلم أن يعلم المسلم الحلال والحرام من الشهوات ومتى ذُكِرَ العلم ذُكِرَت الدقة ، وذُكِرَ التحقيق ، فمما حرم الله - عز وجل - أن تقول على الله ما لا تعلم .

ومن ثم مَنْ وصف شهوة من الشهوات بالحرام ، وهو بلا دليل كان جاهلًا آثمًا وقول الله - عز وجل - ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ ﴾ بإضافة ﴿ زِينَةَ ﴾ إلى الله - عز وجل - يدل على أن الشهوات الحلال يقبل عليها العبد المكلف ، وهو بها سعيد ، منشرح ؛ الصدر لأنها ليست فقط زينته ، وإنما هي زينة الله - عز وجل .

وقد دعا الإسلام إلى الطيبات من الحلال ، ولطالما ورد في الذكر الحلال بهذا المعنى ، قال تعالى : ﴿ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[2] ، وقال عز وجل : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾[3] . وقال سبحانه : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾[4] .

وفي خطبة الوداع قال عليه الصلاة والسلام : «**لا يحل مال امرئ مسلم إلَّا بطيب نفس منه**» وفيه : إنّ الله طيب لا يقبل إلَّا طيبًا .

---

(1) الأعراف : 33 .

(2) الأعراف : 160 .

(3) النساء : 3 .

(4) النساء : 4 .

www.ibtesamh.com/vb

وحين دخل أبو بكر - رضي الله عنه - على رسول الله - ﷺ - وقد انتقل إلى الرفيق الأعلى وقد سجى ببردته قال له وقد قبله : «**طبت حيًّا وميتًا يا رسول الله**» .

فهذا الدين كل ما فيه طيب ، وهو يدعو إلى التخلص من الخبيث ، وقد أُثِرَ من دعاء دخول الحمام : «**اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**» .

والله - عز وجل - يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[1] .

وكان - ﷺ - أشد ما يكره أن تبدو منه رائحة غير طيبة .

من أجل ذلك كله دعا الإسلام إلى طيب الشهوات ، وخصها بأعمال تجعل النفس تقبل عليها وهي فيها راغبة .

ومن ذلك أنه دعا المرأة إلى أن تتزين لزوجها وكذلك دعا الرجل ، حتى يستمتع بعضهما ببعض وهناك ما هو أهم من الزينة الشكلية ، ألا وهو حسن العشرة ، ولين الجانب .

وقد رُوِيَ في الصحيح قول النبي - ﷺ - : «**لا يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد فلعله بالليل يريد أنْ يجامعها**» .

---

(1) إبراهيم : 24 - 27 .

www.ibtesamh.com/vb

فانظر كيف نهى رسول الله - ﷺ - عن ضرب المرأة من زاوية الشهوات ، والضرب كله ممنوع إلَّا عند الضرورة، وخوف النشوز ، ولم تـُجْدِ النصيحة والموعظة الحسنة ، والهجر في المضجع ، وهو ضرب خفيف لا يغير لون جلد ، ولا يكسر عظمًا ، ولا يسبب عاهة ، ولا يكون في الوجه ، أي إن الرجل إذا اضطر إلى ضرب زوجته ، كان لهذا الضرب ضوابط ، هي :

1 - أن يكون بشيء خفيف ، من سواك ونحوه .

2 - وأن يكون بعد موعظة طيبة وكلمة خفيفة وهجر في المضجع .

3 - وألا يغير لون الجلد .

4 - وألا يكسر عظما .

5 - وألا يسبب عاهة .

6 - وأن يكون في غير الوجه .

لكن كما قلت : جاء الضرب في هذا الحديث من زاوية الشهوات . أي كيف يستمتع الزوج بزوجته الحلال ، وكيف تستمتع هي به بالليل ، وقد ضربها ضربًا شديدًا بالنهار ، أو العكس ! فهل هي في فراشه إلَّا جثة هامدة ، أو شيء لا رغبة فيه لشيء !

ومن ثم جاء النهي عن الضرب شرعًا ، فالشرع كله رحمة ومودة ورفق ، قال فيه النبي - ﷺ - ما كان في شيء إلَّا زانه ، وما انتزع من شيء إلَّا شانه .

وتحقيقًا للشهوة، فتحقيق الشهوة على أعلى مستوى لا يتم مع الضرب والإهانة .

www.ibtesamh.com/vb

وكذلك الطعام ، هناك ضوابط لكي يستمتع به الإنسان ، أهمها :

1 - أن يكون من عمل اليد .

قال عليه الصلاة والسلام : **«ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبيَّ الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده»** .

2 - وأن يعالج بالطريقة التي يشتهيها الآكل كالذي يحبه مسلوقا ، والذي يحبه مطبوخًا ، والذي يحبه مشويًّا .. وهكذا .

3 - وأن يكون في جماعة ما أمكن ، حتى تتحقق فيه البركة .

4 - وأن يكون إثر جوع ، حتى تزداد الشهوة فيه ، ومن المفاسد الصحية إدخال الطعام على الطعام .

5 - وأن يأكل الآكل بيمينه إذا كان قادرًا على استعمال اليمين ، وأن يسمي الله في أوله ، وأن يحمده في آخره .

6 - وأن يأكل مما يليه ، حتى لا يشمئذ مَنْ يأكل معه .

7 - وألا يذم طعامًا لا يحبه ، فمن المعهود عن سيد الوجود - ﷺ - أنه ما ذم طعامًا قط ، إن اشتهاه أكله ، وإلّا تركه دون أنْ يذمه .

وقد يدفع هذا الذم إلى كسر شهوة مَنْ يشتهيه ، أي إننا نفسد عليه شهوته بهذا الذم .

وكم من شهوة كسرت ، أو قلَّت ، أو ماتت بسبب الذم ، حدثني ذو ثقة أنه عاش سنوات يستمتع بزوجته ، ويراها أجمل امرأة في الدنيا ، وذات يوم سمع إحدى قريباته تذمها ، فتغير قلبه من ناحيتها بسبب هذا الذم الذي كان يعلم أنه من الغيرة والحقد .

www.ibtesamh.com/vb

ولا عجب ؛ فسيد الخلق سيدنا رسول الله - ﷺ - نهى الناس عن أن يقولوا في أصحابه شيئًا ، وقال : «**فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**» .

وقد شاع الذمُّ بين الناس ، وإن اتخذ سببك المزاح ، يقال للصبي :

لم هذه الحفاوة بأبيك ، ومن يكون أبوك ؟ إن أباك ليس رئيس وزارة ، ولا وزيرًا ، ولماذا تفرح كل هذا الفرح بسيارته ، وهي أردأ سيارة ، وقديمة ، وفيها وفيها ، ليست مثل سيارة فلان ولا هي من النوع الجيد الممتاز الغالي !

ويقال للأب :

لماذا تلك الحفاوة بهذا الولد الشقي ، إنه ليس جميلًا ، وليس وليس ...

إنهم يثيرون الطفل ، حتى يغضب ، ويثور ، ويسب ويلعن ، ويضرب من يقول هذا ، ويرد عليه السوء بسوء مثله أو أشد ، فيزداد الضحك..

وكذلك يقال للزوج في زوجته ، وللزوجة في زوجها ، فإن قلت : إن هذا لا يصح ، أجابوك بأن هذا من قبيل المزاح ، ثم يقولون فيمن ذموه ، أسمى آيات المدح ، ولكن كما يقول العوام (بعد إيه) !

بعد أن لوثوا نَهْرَ المودة ، وجرحوا كيان المحبة ، وزرعوا في الصدور الوفية ما يكدر الصفو ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : «**فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر**» .

وما عاد أحد يخرج إلى ولده ، أو إلى وظيفته وهو سليم الصدر ، ومن ثم صار العمل الذي هو سر تقدم الفرد والأمة يقبل عليه العامل وهو لا يشتهيه ؛ لأنه خرج إليه ، وصدره غير منشرح له ، وصدق الله العظيم إذْ يقول : ﴿ **فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ** ﴾[1] .

---

(1) الأنعام : 125 .

www.ibtesamh.com/vb

وكما أن هناك صدرًا شُرِحَ للإسلام هناك أيضًا صدر شرح للكفر ، ألا ترى إلى قوله - تعالى - : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[1] .

وقد رأيت أن موقفنا من معالجة الدين للشهوات موقف ضعيف ؛ فالدين يدعو إلى معالجة الشهوات حتى تكون طيبة ، أو حتى تكون أطيب ، ونحن نزدري تلك الشهوات بطرق متعددة :

1 - إما بتحريمها عن جهل .

2 - وإمّا بالدعوة إلى الزهد عن جهل كذلك .

3 - وإمّا بتنغيصها بشتى الطرق . وذلك عن طريقين :

الأول : سوء التعامل معها ، كالذي لا يحسن قيادة السيارات ، فإذا به يصاب ، ويصيب غيره .

والثاني : تكدير النفوس قبيل التعامل معها ، كالذي لا يحلو له عتاب ولده أو زوجه إلّا عند تناول الطعام (شهوة البطن) وكالذي يضرب زوجته قبل أن يجامعها (شهوة الفرج) .

وكالذي لا تعاتب زوجها إلّا عندما يدعوها إلى فراشه .

وكالذي إذا هُنئ بمولود له ، فقيل له : أطال الله عمرك حتى تراه طبيبًا أو عالـمًا كبيرًا ؛ فيقول : «يا ترى من يعيش» ، وكذلك يقول إذا هنئ ببيت جديد بناه أو استأجره ، أو اشتراه .

---

(1) النحل : 106 .

www.ibtesamh.com/vb

4 - وإما بازدرائها والتقليل منها ، وقد روى البخاري في صحيحه أن رسول الله - ﷺ - دخل بيته فسأل طعامًا ، فقيل له : ليس عندنا إلّا الخل فقال : نِعْمَ الإدام الخل .

وحين شاهد عمر - رضي الله عنه - وعليه ثوب جميل سأله - ﷺ - : «جديد أم غسيل» ؟

فقال : غسيل يا رسول الله ؛ فقال عليه الصلاة والسلام :

«عشت سعيدًا ، ولبست جديدًا ، ومت شهيدًا» .

وروى الواقدي في المغازي أن رسول الله - ﷺ - أهدى إليه أعرابي قثاء صغيرة ، فأخذ - عليه الصلاة والسلام - يأكل منها ، ويريه أنها تحفة .

وكما أفسدنا كثيرًا من الأشياء ؛ أفسدنا على المقبلين على الفرح فرحهم ؛ فقلنا هذه العبارة الشائعة لمن نراه فرحًا ، (ما تفرحشي قوي) .

وإن رأينا شخصًا لابسًا ثوبًا جديدًا وهو به سعيد : بكم اشتريته ؟

فإن قال : بمائة .

قلنا له : إنه لا يساوي خمسينًا .

وإن سألناه : مِنْ أين اشتريته ؟ فقال : من محل كذا .

قلنا له : ألم تجد غير هذا المحل ؟ إن فيه وفيه وفيه وصاحبه غاشٌّ ، وتراه كتب عليه صنع في كذا ، وهو في الحقيقة صنع في شبرا .

أتقن الناس منغصات النعم والشهوات حتى حالوا بينها وبين المشتهين ، ولبس هذا سبيل المؤمنين .

www.ibtesamh.com/vb

حلال الشهوات

يتصور كثير من الناس أن الشهوات إذا أطلقت فإنما جاءت مرادفة للحرام ، وكثير من العوام إذا سمعها قال أعوذ بالله ؛ لذلك كان من الخير للجميع أن أقدم حلال الشهوات ، وقد قال الله - عز وجل - : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾[1] .

ومتاع الحياة الدنيا ليس بحرام ، فالدنيا كلها دار متاع ، ولكن الذين لا يفقهون في الدين يظنون أن المتاع حرام ، وأن الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر .

وقد روي ذلك حديثًا شريفًا ذكره السيوطي في جامعه الصغير عن ابن عمر - رضي الله عنه - ولكن ليس على الوجه الذي يفهمه الناس اليوم .

وأوضح ذلك العلَّامة المناوي - رحمه الله - في الفيض القدير ، فذكر أن ابن حجر - رحمه الله - شرحه ليهودي استوقف موكبه وهو في زينته . وكان ذلك اليهودي يعمل في الزيت الحار في السوق : فقال لابن حجر : يزعم نبيكم أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، فأين السجن الذي أنت فيه ؟ وأين الجنة التي أنا فيها ؟

فابتسم ابن حجر ، وقال له : أنا على ما أنا فيه من الزينة إذا أدخلني الله الجنة شعرت بأنني كنت في سجن ، وأنت على ما أنت فيه من شقاء إذا أدخلك الله النار فسوف تشعر بأنّ الدنيا بالنسبة إليك كانت جنة .

ففهم ذلك اليهودي ، وأسلم وكثير من الناس لا يعرف هذا الحديث بهذا المعنى .

---

(1) آل عمران : 14 .

www.ibtesamh.com/vb

إنما يفهمه على أن الدنيا سجن المؤمن ، أي عليه أنْ يعيشها سجنًا بمعنى أن يعيش فقيرًا بائسًا مغلوبا لا غالبًا ، مظلومًا مقهورًا ؛ لأن جنته ليست في الدنيا ، إنما جنته في الآخرة ، على عكس الكافر الذي جعل الله جنته في هذه الدنيا ، فهو في غنى ، ورفاهية عيش وسعادة مادية غامرة ؛ لأن النار مثواه وقد قال الله - عز وجل - : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

ومعنى ذلك أنّ الله - عز وجل - جعل في الكفار غنيًّا وفقيرًا . حتى لا يفتتن المؤمنون بهم إذا كانوا جميعًا أغنياء هكذا قال السادة المفسرون .

ومن الآيات المهمل معناها في حياتها قول الله - عز وجل - : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2] .

وقد جاء في معناها : ربنا لا تجعلنا فقراء ، حتى لا يقول الذين كفروا : لو كانوا على دين حق لكانوا أغنياء .

ولا يعني ذلك أن الله يسقط علينا أموالًا من السماء ، وإنما علينا أن نجتهد في أعمالنا وأنْ نرتقي بأحوالنا ، ونستصلح أراضينا ونعمل سواعد شبابنا ، ونسابق الأمم حتى نغنى ، فإن قيل : وما فائدة الدعاء بهذه الآية ؛ فالجواب كما قال الشاعر :

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّـهِ لِلْفَتَى فَأَوَّلُ مَا يَجْنِـي عَلَيْـهِ اجْتِهَـادُهُ

والدعاء في الإسلام ملتبس بالعمل ، وما سوى ذلك دجل وتخلف .

(1) الزخرف : 33 - 35 .

(2) الممتحنة : 5 .

www.ibtesamh.com/vb

وقد روى السهيلي - عليه رحمة الله - في الروض الأنف أن رسول الله - ﷺ - رأى صبيحة يومِ أُحُد نفرًا من المشركين فوق الجبل ، فلما شاهدهم قال :

يا رب ، إنهم لا ينبغي أن يكونوا فوقنا ، فهَمَّ عمر بن الخطاب ، ومعه رجال وصعدوا فوق الجبل ، وناوشوهم حتى نزلوا ، فهذا دعاء رسول الله - ﷺ - وهذا عمر ومن معه كانوا عملًا حقق الله به الدعاء فما نزلت على المشركين صاعقة من السماء ، وإنما صعد إليهم البواسل من المجاهدين ، وأنزلوهم مرغمين .

وقس على ذلك حال الأقصى الآن الذي بات توجه إليه الدعوات في الصلوات ، والأمة لا تعمل من أجله عملًا تعتقه من أيدي الدنسين الصهاينة ، وهي بلا شك قادرة على أن تعمل من أجله أعمالًا بعينها على ذلك وحدة الهدف والمقصد من رفع راية الدين ، وإعلاء شأن المسلمين .

وساعتها سوف نرى الخير الذي يحقق الشهوة الحلال ، معنويًّا باسترداد الحق الضائع وماديا بأن نرى البركة حوله ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] .

وكذلك الحال في جميع الأحوال . وآية آل عمران يقول الله - تعالى - فيها : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ...﴾[2] الآية ليس فيها نص على أن الناس هم الكاذبون ، وإنما الناس تعني المسلمين وغير المسلمين والمعنى إلى المسلمين أقرب ، ألا ترى إلى قول الله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

---

(1) الإسراء : 1 .

(2) آل عمران : 14 .

(3) البقرة : 13 .

www.ibtesamh.com/vb

وإنما قيل في المؤمنين «الناس» ؛ لأنها كما قال ابن منظور في لسان العرب : من الأنس الذي هو ضد التوحش ، يقال : هذا إنسيٌّ ، وهذا وحشي .

والأنس في حد ذاته شهوة حلال ، إذا اجتمع أهلوه على طاعة ، بأن يكون ذلك في صلاة الجماعة مثلًا ، كما ذكر الشاطبي - رحمه الله - في كتابة «الموافقات» في أصول الفقه ، وهو غرض ثانوي ، حيث إن الغرض الأصلي إقامة شعيرة الصلاة في جماعة ، ولا بأس في اجتماع الغرضين : الأصلي والثانوي عند المحققين من العلماء .

ومن أمثلة الغرض الثانوي في الحج أن يكتسب فيه خيرًا ، إلى جانب حجته ؛ حيث رُوِي أن رجلًا كان يؤجر الدواب في الحج وهو محرم ، فقال له بعض الناس : لا حج لك ، فذهب إلى رسول الله - ﷺ - وقص عليه الذي كان بينه وبين هؤلاء ؛ فسأله رسول الله - ﷺ - عن أعمال الحج هل قام بها ؟ فقال : نعم ، فقال له : لك حج ، ونزل في ذلك قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾[1] .

لكن بعض الناس يزعمون أنه لا غرض غير العبادة ، وأن الذي خطر بباله غرض ثانوي مثل الأُنس بالإخوان في صلاة الجماعة أو البيع والشراء في الحج ، وغير ذلك لا عبادة له ، وهؤلاء عند العلماء لا وزن لهم فيما قالوه ولا سند يدل عليه ، فلا يؤخذ به ولا يعول عليه .

ومثل هؤلاء في التشدد مثل الذين يرون الشهوات كلها حرامًا ، ولا شيء فيها حلال أبدًا ، وهذا زعم باطل ، وانحراف عن منهج الله - عز وجل - الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

(1) البقرة : 198 .

www.ibtesamh.com/vb

وهذا الدين ليس دينًا نازلًا على جماد ، وإنما نزل به الروح الأمين على قلب سيدنا رسول الله - ﷺ - بلسان عربي مبين ، وهو خير إنسان ، ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط الله المستقيم .

وصراط الله المستقيم صراط خطه لعباده دون أن يحرمهم متاع الحياة الدنيا ، وإليك أقدم هذه الصور القرآنية التي تدل على أن من الشهوات ما هو حلال :

1 - يقول الله - عز وجل - : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1] .

فعبر عن الزواج - الذي زعمه الشيعة زواج متعة (أي لمدة محددة) ؛ بمتعة فابحث وقل : ما الذي جعل الزواج رحلة معاناة من شقاق وحدة وسوء عشرة .

2 - ويقول - عز وجل - ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[2] .

فلم ينفِ عن الدنيا المتاع ، وإنما نبه العباد إلى قلة المدة ، حتى لا يستغرقوا في تلك المتعة ناسين وراءهم يومًا طويلًا ثقيلًا .

3 - والله - عز وجل - يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[3] .

---

(1) النساء : 24 .

(2) النساء : 77 .

(3) الفرقان : 74 .

www.ibtesamh.com/vb

وهل يعني قوله ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ غير الشهوة الحلال من الاستمتاع بزوجة صالحة تتزين لزوجها وهي راكعة ساجدة صوامة قوامة ، ومن ذرية طيبة تقر العين بسلامة بدن ، وسلامة دين .

4 - والله - عز وجل - في سياق النهي عن الضغينة يقول : ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

فلا يشتهي أحدنا أن يأكل لحم أخيه ميتًا ، وقد علم الله - تعالى - أننا نكره ذلك ، ومعناه أننا نشتهي أكل ما أحل الله من الطيبات .

وقد ثبت عن النبي - ﷺ - أنه ما ذم طعامًا قط ، إن اشتهاه أكله ، وإلّا تركه دون أن يذمه . فتأمل : «**إن اشتهاه**» .

وقد حكى ابن الجوزي - رحمه الله - أنه جرب ما ذكره بعض الصوفية من التقشف ، والزهد في طيبات الحياة الدنيا ، فشعر بوجع في بطنه ، وكاد يموت ، فرجع إلى عادته وقال : تذكرت أن النبي - ﷺ - اشتهى اللحم والحلواء ؛ فأكلها ، وأن ذلك ليس حرامًا ، ولو كان حرامًا ما أكل - ﷺ - لحمًا ، ولا حلواء ، ولكنه - ﷺ - أكل اللحم ، والحلواء ، وشرب اللبن ، والعسل ، وأكل - عليه الصلاة والسلام - من الشاة الكتف ، وهو أطيب ما فيها ، ونام - ﷺ - على سرير من خشب الساج ، وكان لا يؤتى به إلّا من الهند .

وسئلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن طيب رسول الله - ﷺ - فقالت : كان طيبه - ﷺ - أطيب الطيب ، أي من أرقى أنواع الطيب ، وهذا يدل على أننا لم نعرف رسول الله - ﷺ - حق المعرفة ، إنما فشلنا في حياتنا ولم نجد شماعة نعلق عليها فشلنا - مع الأسف - إلَّا رسول الله - ﷺ - الذي آتاه الله الكوثر ،

(1) الحجرات : 12 .

www.ibtesamh.com/vb

وتوقفنا عند الكوثر على أنه النهر المعروف ، والتحقيق يقتضي أننا لم نطلع على معنى «الكوثر» الذي هو «فعلل» من الكثرة . في كل شيء ومن هذه الكثرة : الكوثر الذي هو النهر ، المعروف ، وقد يبين لنا - ﷺ - أنه أوتي الكثير .

ألا ترى إلى قوله - ﷺ - :

- أوتيت جوامع الكلم .

- ونُصِرْتُ بالرعب .

- ونُصِرْتُ بالريح .

- وأحل الله لي الغنائم ، ما أحلها لنبي قبلي .

- وجعلت لي الأرض ، سجدًا وطهورًا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل .

إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي يبين فيها سيدنا رسول الله - ﷺ - ما منّ الله - تعالى - به عليه - من موفور النعم - التي أسبغها عليه ظاهرة وباطنة بل إن الله - تعالى - يقول له في سورة كاملة : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾[1] .

والسورة بعدها امتداد لها بلا شك ، قال تعالى : ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ

(1) الضحى : 1 - 11 .

www.ibtesamh.com/vb

﴿ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾[1] .

ومن يتأمل صورة الكون في القرآن الكريم ، يجد متعة تحقق شهوة النفس الراغبة في مشاهدة ألوان الجمال .

ففي الكتاب العزيز : جنات ، وحدائق ذات بهجة ، وأنهار ، وفلك جارية بما ينفع الناس ، وعنب ، ونخيل صنوان وغير صنوان ، وزيتون ، ورمان ، وأنعام ، ثمانية أزواج .

والله – عز وجل – يقول : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[2] .

وفي آية الأعراف : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

أي إنّ زينة الله – عز وجل – غير محرمة ، وزينة الله – تعالى – هي ما ذكره الله – تعالى – ولكن على وجهه ، أي شهوة النساء عن طريق الزواج والالتزام بالعدد ﴿ ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[4] .

---

(1) الشرح : 1 - 8 .

(2) الكهف : 46 .

(3) الأعراف : 32 .

(4) النساء : 3 .

www.ibtesamh.com/vb

والمال عن طريق الكسب الحلال ، والأعمال المشروعة سبيل ذلك ، لا عن طريق الغش والربا ، والمقامرة ، والنصب ، والسرقة ، والبنون عن طريق الفراش (الزواج) لقوله - ﷺ - : «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**» .

قال الله - عز وجل - : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾[1] .

واقرأ هذه الآيات حيث يقول الله - تعالى - : ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2] .

فقد جاءت الشهوات صريحة فيها ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ ﴾ فالنفس تشتهي أشياء كثيرة ، وهذه الشهوات ذكرها ربنا - تعالى - في سياق الحديث عن الجنة ، ومنها النساء «الحور العين» ، ولحم الطير الذي يشتهيه الآكلون ، والسرر المرفوعة ، والعيون الجارية ، والأنهار ، والثمرات ، والظل الممدود ، والماء المسكوب ، والفاكهة الكثيرة ، التي ليست بمقطوعة ولا ممنوعة ، والنخل ، والرمان ، وزوجان من كل فاكهة ، والمتشابه في الشكل المختلف في الطعم ، وغير ذلك من صنوف

(1) محمد : 15 .

(2) الزخرف : 68 - 72 .

www.ibtesamh.com/vb

الطعام والتراب ، والإقامة في دار النعيم المقيم ، فضلًا عن نزع الغل والسواد من صدور أصحابها ؟ لأن مثل هذا السواد يتناقض ونعيم الجنة ، كما قال المفسرون في قول الله - تعالى - : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[1] .

وما شابه ذلك من النعيم في الدنيا حلال مشروع ، ولا شك أنّ الأخذ منه بقدر هو منهج الإسلام المعتدل .

لأنّ الإسراف حرام شرعًا ، والله - تعالى - «لا يحب المسرفين» .

وقال في آية سورة الفرقان : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[2] . والقوام : الاعتدال ، والاعتدال في كل شيء ، منهج هذا الدين ، وقد ورد في الحديث الشريف : «**إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى**» أي الذي يضرب دابته من أجل أن تجري به ، ضربًا شديدًا يريد أن يصل إلى بقيته في أقل زمن ، وفي النهاية لم يُبْقِ على ظهر دابته ، ولم يصل إلى بغيته .

حتى فيما يتعلق بالدين ، يقول النبي - ﷺ - : «**إن هذا الدين متين ؛ فأوغل فيه برفق**» .

وقال عليه الصلاة والسلام : «**ما أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عن شيء فانتهوا**» .

أي إن الحلال واسع ، لا يستطيع الإنسان أن يأتيه جميعًا ، فمثلًا في المأكولات مثال ما لا يحصى من الحلال المباح ، ولا يستطيع الإنسان أن يأكل كل الحلال في وقت واحد .

---

(1) الحجر : 47 .

(2) الفرقان : 67 .

www.ibtesamh.com/vb

وقد ورد أن بعض الصحابة طافوا بالبيت الحرام ودعا اللهَ - عز وجل - كلٌّ بما يشتهي من حلال مشروع - وما عاب بعضهم بعضًا ، ومنهم من سأل الله - تعالى - أن يزوجه عائشة بنت طلحة وكانت من أجمل النساء ، وتحقق له ما يريد .

وسأل زكريا - عليه السلام - الله - عز وجل - الولد ، فرزقه يحيى ، ولم يجعل له من قبل سميًّا .

شهوة المال

وللمال شهوة خاصة ؛ لأنه قوام الحياة ، وبه تتحقق شهوات الدنيا ؛ ولذا قال العلماء في سورة الكهف : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ إن الله - عز وجل - قدّم المال على (البنون) لأن المال سبب في الحصول عليهم ، من حيث كونه سببًا في الزواج الذي هو سبب الإنجاب وفي الحديث : «**يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم**» والباءة هي القدرة على الزواج ماديًّا ، ورغبة ، وكثير من الناس ينظر إلى المال على أنه وباء ، ويلعنه ، ويلعن من جمعه ، ويظن هؤلاء أن الفقر خير من الغنى ، وليس هذا بصحيح بدليل ما رواه البخاري في صحيحه وغيره من دعاء النبي - ﷺ - حيث قال : «**اللهم إني أعوذ بك من الفقر**» .

ومن دعائه - ﷺ - : «**اللهم زدنا ولا تنقصنا**» . وروى البخاري كذلك قول النبي - ﷺ - : «**كادت الحاجة أن تكون كفرًا**» .

وقد قال الله - عز وجل - لرسوله - ﷺ - : ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾[1] وتفسير ﴿ عَآئِلا ﴾ أي تعول غيرك .

(1) الضحى : 8 .

www.ibtesamh.com/vb

وفي حديثٍ رواه البيضاوي في تفسيره يقول فيه النبي - ﷺ - : «**إذا وجد الله في عبد من عباده صفة الكرم ساق على يديه أرزاق عباده**»

وجاء في الرَّوض الأُنف للسهيلي أن النبي - ﷺ - كان يعول مساكين في مكة قبل البعثة فلما حبب إليه - ﷺ - الخلاء ، وكان يصعد إلى غار حراء كان المساكين يصعدون إليه ويتبعونه ، فيعطيهم - ﷺ - ولما نزل الوحي - عليه - أول ما نزل ، وخشي على نفسه ورجع إلى أهله ، وقال زمِّلوني ، ولما ذهب عنه الروع ، وقص ما كان على أم المؤمنين - خديجة - رضي الله عنها - قالت له أول ما قالت ، وقبل أن تذهب معه إلى ابن عمها ورقة بن نوفل : «**والله لن يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين الكَلَّ**» ومن كانت هذه صفاته لا يعقل أو يتصور أنه كان فقيرًا ، والله - تعالى - يقول في سورة البقرة : ﴿ **وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ** ﴾[1] .

فأسند الملك إلى سليمان ، وقد قال الذين كتبوا في قصص الأنبياء : إن الملك لا يتعارض والنبوة ، وقد قال يوسف - عليه السلام - : ﴿ **رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ** ﴾[2] .

وقد مَنّ الله - عز وجل - على المؤمنين بأن أحل لهم الغنائم الكثيرة ، قال - عز مِن قائل - : ﴿ **لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ**

(1) البقرة : 102 .

(2) يوسف : 101 .

www.ibtesamh.com/vb

وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾[1] .

وقال - عز مِن قائل - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

فتأمل قول الله - تعالى - ﴿ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾[3] وكيف أنه - عز وجل - لم يذمها ، ولم يذمم الراغب فيها .

وقد روى البخاري في صحيحه أن مالًا جاء النبي - ﷺ - فأعطاه عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - ؛ فقال عمر : «يا رسول الله ، أعطه مَنْ هو أفقر مني فقال يا عمر : إن هذا المال حلوة خضرة ، فإذا جاءك من غير سؤال ، أو استشراف نفس ، فخذه يُبَارَكْ لك فيه» .

وفي رواية «فتموَّلْه» ، وللمال رسالة في الحياة خلاصتها أن تعمر به الأرض ، وأن يعمل به الصالحات .

---

(1) الفتح : 18 - 21 .

(2) الصف : 10- 13 .

(3) النساء : 94 .

www.ibtesamh.com/vb

وأن تدفع به راية الحق والدين ، وقد كان في الصحابة أغنياء أمثال الصديق - رضي الله عنه - الذي قال فيه النبي - ﷺ - ما من أحد أَمَنَّ عليَّ بماله ونفسه من أبي بكر ، وقال : رحم الله أبا بكر ، حملني إلى دار الهجرة وزوجني ابنته .

ومنهم عثمان بن عفان الذي اشترى من حر ماله بئر رومة ؛ ليشرب منها المسلمون ، وجعل نصيبه منها كنصيب أي واحد منهم دون زيادة أو تمييز وجهز بماله جيش العسرة ، واشترى بماله قطعة أرض مجاورة للمسجد النبوي الشريف ، فوسعه بها .. ومنهم عبد الرحمن بن عوف ، الذي أعطى أموالًا كثيرة عبيدًا عنده ، وقال لهم : من وزع ما معه على الفقراء في المدينة قبل أن يطلع الفجر فهو حر .

ولا شك أن النفس السوية تشتهي أن ترى آثار المال في حدائق ذات بهجة ، وفي مساجد موسعة نظيفة ، وفي سد حاجة الفقراء الذين قال فيهم رسول الله - ﷺ - : «**أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم**» أي في يوم عيد الفطر ، وذلك كي يسعدوا فيه ، وكي يسعد الأغنياء القادرون أيضًا ، حيث يرون الشوارع ذات فرح بخلوِّها من السائلين البائسين ، وحتى يطرق عليهم أبوابهم زائرون مهنئون ، لا سائلون محرومون ، وبذلك تتحقق الشهوة بالفرح والسعادة في يوم الزينة والجمال ، أي في يوم العيد .

وأن يكرم الإنسان به نفسه ، قال النبي - ﷺ - لرجل رآه رثَّ الهيئة : «**أكرم نفسك كما أكرمك ربك**» .

وقال عليه الصلاة والسلام : «**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**» .

وقال الصحابة رضوان الله عليهم للنبي - ﷺ - إن الرجل منا يحب أن يكون ثوبه حسنًا ، وأن يكون نعله حسنا ، فلم ينكر عليهم ذلك الحب ، الذي هو عين الشهوة بل قال لهم : «**كل ما شئت ، والبس ما شئت ، ما أخطأتك خصلتان : سرف ومخيلة**» .

www.ibtesamh.com/vb

وكذلك سائر الشهوات ، وقول الله - عز وجل - : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾[1] وقوله - عز وجل - : ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا ﴾[2] . مما ورد فيه أفعل التفضيل ليس بدليل على أن تلك الشهوات يجب طرحها ، أو أنها منبوذة تمامًا ، وإنما معناها أنّ هناك خيرًا منها ، وأنت حين تقول : محمد أكرم من عليّ ليس معناه أن محمدًا ليس كريمًا ، وإنما معناه أنّ في محمد كرما ، ولكنه زيادة في عليّ .

وأنت إذا تأملت ما عند الله - عز وجل - من نعيم قلت كما قال ابن حجر في شرح حديث «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**» أي رأيت أن نعيم الدنيا ليس بشيء ، وقد روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : ليس في الدنيا من نعيم الآخرة شيء إلَّا الأسماء ؛ أي إن الماء الذي نشربه في الدنيا غير الماء الذي نشربه طهورًا في الجنة ، وكذا سائر صنوف النعيم ، فماء الجنة غير آسن ، ولبنها لم يتغير طعمه ، وخمرها لذة للشاربين ، ولا تذهب العقل ، وعسلها مصفى ، ولنا فيها إن شاء الله من كل الثمرات .

أي : تجنب الإسراف والخيلاء في أكلك وملبسك ، وكل ما شئت والبس ما شئت .

وكان الليث بن سعد فقيه مصر في قمة الثراء وكان يرسل راتبا من مصر إلى الإمام مالك بالمدينة ، وقال الذين ترجموا للإمام الليث : إنه لم يخرج زكاة هذا المال الوفير ؛ لأنه لم يمر عليه عام ، أي كان ينفق هذا المال على طلاب العلم وشيوخه الفقراء وعلى المساكين والمحتاجين .

---

(1) آل عمران : 15 .

(2) الكهف : 46 .

www.ibtesamh.com/vb

وقد لبس العلماء والفقهاء والأمراء المسلمون أطيب ثياب ، وأفخم كساء ، ومن يراجع سيرهم في مظانها فسوف يجد ثمن ما لبسوا غاليا ، كان ثوب أحدهم الذي يعده من أجل صلاة الجمعة بألوف مؤلفة ، وأكلوا أطايب الطعام .

وقد قال الله - عز وجل - في أهل الكهف الذين آمنوا بربهم ، وزادهم الله هدى : ﴿ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾[1] .

شهوة النساء

وشهوة النساء ثابتة ، في الكتاب الكريم ، والسنة النبوية ، وواقع الحياة التي جاء الدين لينظمها ويطهرها والسبيل إلى تحقيق هذه الشهوة الزواج لا غير ؛ فهو العلاقة الوحيدة بين أجنبي وأجنبية تبادلا الرضا من أجل حياة مستقرة دائمة ، ليصبح كل منهما أقرب الناس إلى صاحبه .

وقد دعا الشرع الحنيف إلى الزواج ، وجعله آية من آيات الله ، قال - تعالى - : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] .

فالبينية التي بين الأزواج مودة ورحمة ولو كان بينهما بعد المشرقين ، بأن عاش أحدهما مضطرًا في بلد ، وعاش الآخر في بلد بعيد ، فهما متصلان روحًا وقلبًا ومشاعر ، وقد قلت في إحدى قصائدي الشعرية في توديع أحد الزملاء :

ولَئِنْ تَجَمَّعَتِ القُلُوبُ عَشِيرَةً مَا ضَرَّ أَنْ تَتَفَرَّقَ الأَجْسَامُ

(1) الكهف : 19 .

(2) الروم : 21 .

www.ibtesamh.com/vb

وفي حديث البخاري يوجه النبيّ - ﷺ - أمته إلى أمثل طريق للاستمتاع بشهوة النساء الحلال ، حيث يقول : «**لا يضرب أحدكم امرأته كما يضرب العبد ، فلعله بالليل يريد أن يباشرها**» .

أي كيف يستمتع رجل بامرأته التي ضربها أول النهار ، هل بقي فيها إثر الضرب أو الجلد شيء تسعده به وهي مجلودة ؟!

فسبيل الاستمتاع بشهوة النساء حسن معاشرتهن ومع ذلك يدعي أناس أنه كلما ضرب المرأة وكسرها استمتع بها أكثر ، فهو كما يقول : رجل (حمش) وهو في الحقيقة والإنصاف رجل (وحش) وما يستمتع به الوحش بخلاف ما يستمتع به الإنسان ، فسبيل متعة الوحش فريسته ، وسبيل متعة الإنسان حسن صحبة ورفق ورحمة ، والطريق إلى الفريسة الهجوم ، والطريق إلى الأنس ملاطفة ، ومداعبة ، قد يكون فيها من المتعة ما لا يكون في المباشرة .

وليست شهوة النساء في مجرد الإتيان وإنما في أشياء أخرى ، منها الأنس والملاطفة وطيب الحديث ، وقرة العين المشتركة بين الرجال وبينهن ، ألا ترى إلى قول امرأة فرعون : ﴿ **قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ** ﴾[1] .

وإلى قول عزيز مصر لامرأته : ﴿ **أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا** ﴾[2] . فقرة العين المشتركة بين الرجل وزوجته من الشهوة بمكان ، فأنت تشتهي رجلًا هواه مثل هواك فما بالك بزوجتك .

والنفع المشترك بين الرجل وزوجته من الشهوة بمكان . وقد تكون العلاقة الجنسية بين زوجين على أعلى مستوى ، ويحدث بعدها نكد كبير من اختلاف الطباع

(1) القصص : 9 .

(2) يوسف : 21 .

www.ibtesamh.com/vb

والمشارب كما يكون ذلك قبلها ، وتلك العلاقة المباشرة مدتها يسيرة ، فما نُصْلِحُ نكدًا تقدم ، ولا تَمَنَعُ نكدًا سوف يأتي ، فهي بمثابة استراحة بين نكدين لا تسد جوع نفس ، ولا تشبع رغبة وجدان ، ولا تستقيم معها حياة .

وفي الحديث المشهور الذي رواه البخاري وغيره من حديث امرأة رفاعة التي طلقها فبت طلاقها ، وتزوجت من بعده رجلًا هو عبد الرحمن بن الزَّبِير (على وزن فعيل مثل كبير) وأرادت الرجوع إلى زوجها الأول رفاعة ؛ فقال لها - ﷺ - لا . حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك ، ورد فيه أنها قالت في زوجها الثاني : إن ما معه مثل هدبة الثوب أي إنه لا ينتصب ، وجاء عبد الرحمن ومعه بنوه من غيرها ، وهم يشبهونه ، وبيَّن للنبي - ﷺ - أنه قوي في مباشرتها ، وأن ما معه ليس كما تقول ، ولكنها تود الرجوع إلى رفاعة .

ومعنى ذلك أن في حياة المرأة شيئًا آخر خلاف المباشرة تود من أجله أن تعيش مع الرجل ، وليس كما يتصور كثير من الناس ظلمًا وعدوانًا بأنه لا يعني المرأة إلّا هذه المسألة فإن قلت : إنه الحب ! فالجواب : نعم ، إنه الحب ما لم يكن وهمًا ، فإن معظم الذين تزوجوا بسببه ، أو عليه كما يقولون : ضرب بعضهم بعضًا ، ومزّق بعضهم بعضًا وقتل بعضهم بعضًا ، وفضح بعضهم بعضًا ، وانفصلوا من بعد اتصال ، وافترقوا من بعد اجتماع ؛ وذلك لأنهم توهموا أنهم عرفوا الحب ، وفي الحقيقة أن ما عرفوه كان وهمًا تخيلوه ، وفسروا كلمات الأغاني ونصلوها على مقاسهم وهي منهم بعيدة ، وعنهم غريبة ، وكان الفتى يرسل إلى الفتاة قطعة موسيقى أعجبته وهي تظن أنه أبو عذرتها ، وأنه هو الذي ألفها ، وقام بتوزيعها بعد أن لحنها من أجلها أو ترسل إليه أغنية ، فظهر أنها هي المطربة ، وأن هذا الصوت صوتها لا صوت المطربة ، وأن هذا المد مدها وهذا النبر نبرها ، وهذا التمايل تمايلها ، وليس ذلك صحيحًا.

www.ibtesamh.com/vb

وبعد الزواج يكتشف بأنها ذات صوت بغيض ، وأنها غير ذات نبر ، وغير ذات تمايل ، انكشف القناع ، واتضحت الحقيقة ، فلا هو بلحن ولا هي بمطربة .

حتى إذا التقيا في مكان ما ، من كازينو ونحوه ظنا أن هذا بيتهما ، وهو في الحقيقة ليس كذلك إنما بيتها المنتظر ليس على النيل ، وليس فيه اتساع كهذا المكان الذي التقيا فيه ، وليس فيه خدم وابتسام مثل هذا المكان ، إنما فيه أوجاع وأنات ، وليست فيه حجرات . إنما هو حجرة أو حجرتان ضيقتان ، بينهما صالة ضيقة ، وحمام لا يتسع لأحدهما ، ومطبخ ضيق ، يئن من حمولة الأواني الفارغة من الخيرات ، وغير ذلك من المآسي ، هذا بالإضافة إلى ما هو معروف من إبداء المحاسن وإخفاء المساوئ التي ظهرت جليا بعد الزواج ، وتخيل كل صور الكمال والجمال في المحبوب ، ومن قديم قال الناس : حب الشيء يعمي ويصم ، أي إن مَنْ أحب أحدًا لم ير فيه عيبًا ، ولم يسمع فيه كلمة تصيبه ، إنما يراه أكمل الناس وأجملهم ، ولا يسمع فيه إلّا خيرًا ؛ فإذا عاش معه ، اكتشف غير الذي كان يتخيله ويتصوره ، فتحدث المفارقة بين واقع لا يعرف الزيف ، وبين خيال كان ، فيترتب على ذلك ما ذكرت من شقاق يفضي إلى الفراق ، الذي إن تم بسلام كان ذلك من رحمة الله الواسعة ، بمن ظنا أنهما غرقا في الحب ، وعاشاه ، وبمن حولهما من الناس . ومنهم الأهل الذين يشمتون في الفتاة التي أصرت على اختيار هذا الإنسان ، وفي ذلك الشاب الذي أصر على اختيار تلك الفتاة ويقولون لها : أم نقل لكِ ! ، ويقولون له : ألم نقل لكَ ؟

ولكن ما يفيد هذا الكلام إلّا وجعًا على وجع وهو يزيد في الندم ، والندم لا يرجع ما فات ، وقد كان رسول الله - ﷺ - على سفر ومعه من نسائه أم سلمة - رضي الله عنها - وأهدى إليه أعرابي قِثَّاء صغيرة ، فأخذ - ﷺ - يأكل منها ،

www.ibtesamh.com/vb

ويريه أنها تحفة ، وأرسل منها إلى زوجته أم سلمة ، فأكلت منها ، وفرحت بها كما فرح رسول الله - ﷺ - .

وقد روي أن صحابة رسول الله - ﷺ - لما استعملوا فضلته - ﷺ - في الوضوء ناشدتهم أم سلمة - رضي الله عنها - أن يجعلوا لها نصيبًا منه .

فهناك متعة أخرى غير تلك المتعة المعروفة منها أن تحب الزوجة شيئًا من رائحة زوجها ؟ وأن يحب زوجها شيئًا من رائحتها وأن يفيد من عقلها ، وفي هذا السياق أذكر أن النبي - ﷺ - يوم الحديبية دخل على أم سلمة ، وقال : هلك الناس ، أمرتهم بأن يذبحوا فلم يفعلوا ، وأن يحلقوا فلم يحلقوا ، فأشارت عليه بأن يخرج إليهم ويذبح هديه ، ويحلق رأسه ، فإنهم إنْ رأوك فعلت فعلوا ؛ فأخذ - ﷺ - برأيها وخرج ، وفعل ، ففعل المسلمون كما فعل - ﷺ - .

ونحن مع الأسف حرفنا شتى أنواع المتعة بالمرأة ، حيث نظرنا إليها على أنها عورة - وأنها جنس فقط ، لا غير ، وفي هذا ظلم كبير ، فقد سمع الله - تعالى - قولها من فوق سبع سماوات ، وأقر قولها حين قالت : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾[1] قال الله - تعالى - : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[2] .

وجعلها مثالًا للذين آمنوا ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ

(1) النمل : 34 .

(2) النمل : 34 .

www.ibtesamh.com/vb

فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴾[1] .

فهل تظن أن شهوة النساء هي فقط في تلك المعاشرة ، وأن المرأة لا حظ لها في حياة الرجل إلّا كما قال الجاهلي : أن تبيت على جنابة ، وهل نرجو الخير بعد ذلك لنا من هذا الجانب ، جانب المرأة وهو مهم ، إذا أردنا إحسانًا وتوفيقًا .

علينا إنْ قصدنا الإنصاف أن نكسب المرأة حقها الذي شرعه الله - تعالى - لها - من علياء السماء ، وقد قال الله - عز وجل - : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[2] . وقال عز من قائل : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[3] . وقال تبارك اسمه : ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[4] .

فما الذي أبعدها عن الحلية ، وما الذي أكسبها الفجور في الخصومة ، وما الذي عرضها للمهالك حتى رأيناها تصارع الرجال ، وتضرب بالقدم ، وتتبذل في الشكل والمعنى ، وهل يتصور إنسان أنها يمكن أن تُشتَهى بهذه الطريقة !

إن الاشتهاء إليها لا يتحقق إلّا إذا كانت على طبيعتها الهادئة ، وزينتها الجميلة ، وكونها - كما يقال من قديم : «كالجوهرة المكنونة ، والدرة المصونة» .

أي علينا أن نكفيها حاجتها ، وأن نجعلها تعيش حياة مرفهة ناعمة ، كي يشتهيها زوجها ، وحتى يفيد من عقلها وفكرها هو ومَنْ حوله ، وأمته جميعًا من بعده .

---

(1) التحريم : 11 - 12 .

(2) البقرة : 228 .

(3) النساء : 19 .

(4) الزخرف : 18 .

www.ibtesamh.com/vb

وقد نهى النبي - ﷺ - عن أن يطرق الرجل أهله ليلًا ، حتى لا يفاجئه منظرها وهي غير مزينة مستعدة للقائه ، وما ذلك إلّا من قبيل إصلاح مسار الشهوات الحلال ، إنه يعطيها الفرصة كي تتزين وتتجمل من أجل أنْ يُسَرَّ بها ، ويسعد بلقائها ، وذلك لا يتحقق له إن فاجأها وهي شعثاء ذات ثوب رث ، أو رائحة غير طيبة .

ويستطيع الرجل في زماننا أن يتصل بها قبيل عودته ؛ لتستعد للقائه ، وقد صارت أجهزة الاتصال كثيرة متنوعة ، ومنها ذلك المحمول الذي أسرفنا في استعماله في مواضع الغيظ والهزل وكان علينا أن نستعمله فيما يفيد وينفع ، ومن ذلك أنْ يتصل الرجل بزوجته يخبرها بموعد وصوله إليها حتى يراها على الوجه الأكمل الذي تحقق له الاستمتاع بها .

الشهوات الممنوعة إلى أجل

وهناك شهوات الأصل فيها الحلال لكنها ممنوعة أو حرام إلى أجل ، أي مؤقتة ، وأهمها :

1 - شهوتا البطن والفرج للصائم :

فإن الصيام معناه الامتناع عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

وقد جعل الإسلام هذا الامتناع عن هاتين الشهوتين صبرًا يثاب عليه الصائمون ، فسمّي رمضان شهر الصبر .

جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فلم يعرفه رسول الله - ﷺ - وكان قد جاءه منذ عام مضى ، فلما عرفه بنفسه سأله رسول الله - ﷺ - : ما الذي غيرك ؟

www.ibtesamh.com/vb

فقال : ما أكلت لقمة منذ فارقتك إلّا بليل ؛ فقال له - ﷺ - : «**ولم عذبت نفسك ، صم شهر الصبر ، وثلاثة أيام من كل شهر**» .

فالدين ليس بذي شهوة لحرمان الناس من الشهوات الحلال .

وقد رخص للمريض والشيخ الكبير ، والحامل ، والمرضع ، والمسافر ، وذي العمل الشاق ، ولمن خاف على نفسه الهلاك أن يفطروا ، قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾[1] .

والصيام كما قال الله - تعالى - أيام معدودات قال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾[2] .

أي إن الحرمان من الشهوات الحلال من حيث الوقت الزمني مِنْ طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ومن حيث المدة الكاملة شهر كل عام ، والشهر ثلاثون يومًا أو تسعة وعشرون يومًا ، وذلك صيام الفريضة .

وفي الحديث الشريف الصحيح : «**ما زالت هذه الأمة بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور**» .

أي إن توجيه الإسلام الحنيف للمكلفين أن يعجلوا الفطر فلا يؤخروه ، لأن الشمس إذا غربت فقد أفطر الصائم وهو محروم يومه من شهوتين عظيمتين ، وقد آن الأوان كي يستمتع بها ، فلا داعي إلى التأخير .

---

(1) البقرة : 184 .

(2) البقرة : 183 - 184 .

www.ibtesamh.com/vb

وكذلك يستحب تأخير السحور ، حتى يكون قريبًا من الفجر ، موعد الإمساك ، فلا يجوع الصائم مبكرًا ، وفي السحور حديث شريف صحيح ، يقول فيه رسول الله - ﷺ - : «**تسحروا فإن في السحور بركة**» وقد انقسم العلماء فريقين في تفسير البركة .

فالأول : أنه بركة من حيث كونه مددًا يعين الصائم أي ماديًّا ، من طعام وشراب .

والثاني : أنه بركة معنوية ؛ لقول النبي - ﷺ - : «**إن في السحور بركة**» .

ولا مانع - فيما أرى - بين الجمع بينهما ، أي إن في سحور بركة معنوية ، وبركة مادية معًا .

وفي الصحيح : «**مَنْ صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه**» فالمرء يحتسب امتناعه عن شهوته عند الله وله من الأجر العظيم ما نص عليه الحديث الشريف من مغفرة ذنوبه .

وفي يوم العيد يخرج المسلمون إلى صلاته وقد أفطروا على شيء يسير ، ووزعوا صدقة الفطر واستبشروا بقبول الله - تعالى - صيامهم وقيامهم ومغفرته لهم ذنوبهم .

2 - وطء الزوجة في مدة الحيض :

ومن الشهوة المعطلة إلى حين ، شهوة وطء المرأة وهي حائض ، قال الله - عز وجل - : ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ** ﴾[1] .

(1) البقرة : 222 .

www.ibtesamh.com/vb

ومع هذا لا يحرم الزوج الاستمتاع بها فيما عدا موضع الحيض ، وموضع البراز ، فقد روي في الصحيح الذي رواه مسلم أنه - ﷺ - قال : «**ملعون مَنْ أتى امرأته في دبرها**» .

وقد كان الناس خصوصًا اليهود يأنفون من المرأة إذا حاضت ، ويضربون لها خيمة بباب البيت تقيم فيها مدة الحيض ، فإذا تطهرت دخلته ، وجاء هذا الإسلام الحنيف فنهى عن ذلك ، ومنع فقط مباشرة الحائض ، لكن لم يمنع الاستمتاع بها والأكل معها .

وقد سأل النبي - ﷺ - أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن تناوله شيئًا يتجفف به حيث كان يغتسل ، فقالت له : إني حائض ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : إن حيضتك ليست في يدك فناولته - رضي الله عنها .

وهذا يؤكد فكرة الاستمتاع بالمرأة على أوجه أخرى غير المباشرة الزوجية ، أليس من الاستمتاع بها أن تناوله شيئًا ، وأن تغسل له ثوبًا ، وأن تنظف له مكانًا ، وأن ترتب له أوراقًا ، وأن يملي عليها نصًا أو أن تقرأ عليه كتابا ، أو أن تعد له وجبة ، أو تصنع له شيئًا يحبه ، فضلًا عن أنْ تسعفه برأي ، أو أن تصحبه في رحلة ، فتهون عليه وعثاء السفر ، وتعينه في غربته ، وغير ذلك .

لقد هاجر المسلمون الأوائل من مكة إلى الحبشة ومعهم زوجاتهم ، وأولهم عثمان بن عفان ، وزوجه رقية - رضي الله عنهما - ، وهي بنت رسول الله - ﷺ - لم تتخلف عن زوجها ، بل هاجرت معه وكابدت معه ، وكان المصير واحدًا .

www.ibtesamh.com/vb

3 - الجمع بين الأختين :

وقد حرّم الإسلام الجمع بين الأختين ، لكن ذلك من باب التحريم المؤقت ، أي مدة كون المرأة على ذمتك فلا يحل لك أن تتزوج أختها ، فإن ماتت التي في ذمتك ، أو طلقتها حلت لك أختها ، وليس معنى أن تحل لك أنه يجب أن تتزوجها وإنما يجوز لك أن تتزوجها ، إنْ أرادت وأردت ، أي إن حصل الإيجاب والقبول بينكما .

أما التحريم الدائم فيتمثل فيمن يأتين :

1 - الأم .

2 - والبنت .

3 - والأخت .

4 - والعمة .

5 - والخالة .

6 - وبنت الأخ .

7 - وبنت الأخت .

8 - والأم من الرضاعة .

9 - والأخوات من الرضاعة .

10 - وأم الزوجة ، حتى لو عقد عليها ولم يدخل ، فالقاعدة «العقد على البنات يحرم الأمهات» .

بخلاف الأم إذا دخل بها حرمت ابنتها أي الربيبة ، وإن لم يدخل بالأم وطلقها جاز له أن يتزوج ابنتها .

www.ibtesamh.com/vb

11 - وحليلة الابن من الصلب ، لا الذي تبناه الإنسان أي كفله ، فإن التبني حرمه الشرع .

12 - وكذلك زوجة الأب .

أما التحريم المؤقت فمثاله الجمع بين الأختين كما نص عليه القرآن الكريم ، والجمع بين المرأة وعمتها ، والمرأة وخالتها كما نص على ذلك حديث رسول الله - ﷺ - فقد نهى - ﷺ - عن الجمع بين المرأة وعمتها ، وبين المرأة وخالتها .

وكذلك من التحريم المؤقت أنْ يكون على ذمة الرجل أربع نساء ، فلا يحل له النساء حتى تموت واحدة أو يطلق واحدة ؛ لأنه لا يجوز له أن يتزوجها من حيث كونها خامسة ، ولا يجوز له أن يتزوج خمسًا ، وكذلك زواج المرأة في عدتها ؛ فلا يجوز أن يتزوجها في عدتها ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾[1] .

وكذلك شهوة النساء الحلال المحرمة إلى أجل مدة الإحرام في الحج والعمرة .

يحج المسلم القادر على الحج ، فيعمل في يوم العيد أعمالًا ، يرمي العقبة الكبرى ، ويحلق أو يقصر ، ويتروح إنْ كان متمتعًا أو قارنا ، ويحل له كل شيء إلّا النساء حتى يطوف طواف الركن «الإفاضة» فإذا طاف حل له كل شيء حتى النساء .

أي إنه في رمي الجمرات في أيام التشريق يجوز له أن يباشر امرأته ، وأن يتزوج ؛ لأنه قد تحلل .

(1) البقرة : 235 .

www.ibtesamh.com/vb

وكذلك مدة اعتكافه ، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[1] .

فالرجل لا يباشر امرأته في الحالات الآتية :

1 - إذا كانت حائضًا .

2 - وإذا كان صائمًا ، مدة الصيام .

3 - وإذا كان معتكفًا .

4 - وإذا كان محرما .

ومن الشهوات المحرمة إلى أجل شهوة الصيد ، أي ما دام المرء محرمًا فلا يحل له أن يصطاد ، قال الله تعالى : ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾[2] .

فإذا تحلل من إحرامه جاز له أن يصطاد قال ربنا - تعالى - : ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا ﴾[3] . والأمر في الآية للندب ، لا للوجوب ، أي ليس واجبًا على مَنْ تحلل من إحرامه أن يصطاد ، وإنما يجوز له ، إذا كان ممن يشتهون الصيد .

وكنا نحفظ مثلًا قديمًا يقول : «إن صيد السمك أحلى من أكله» . وذلك : لأن الذي يصطاد يشعر بمتعة في الصيد ، إن كان عن طريق عود وسنارة ، وجلوس على حافة نهر أو ترعة ، تتحرك العصا في يده ، فيشعر بأن السنارة قد غمزت ، وأن سمكة في الطريق ، فيرفعها بطريقة غير مباشرة ، حتى لا تسقط السمكة من طرف

(1) البقرة : 187 .

(2) المائدة : 96 .

(3) المائدة : 2 .

www.ibtesamh.com/vb

العصا الطويلة ، ثم تهتز العصا في يده ، بسمكة جميلة ، تسر نظره ، فيمسك بها بعد أن يخرجها من الماء ؛ ليضعها في ماء قليل وضعه في إناء إلى جنبه يضع فيه السمكة تلو السمكة ، حتى يمتلأ الإناء مدة إقامته على الصيد ، ثم يمضي ، وقد ربح ربحًا جديدًا جميلًا ؛ ليأكل لحمًا طريًّا أحله الله - عز وجل - أو يبيع ، وكذلك مَنْ يصطاد عن طريق القوارب والبواخر ، يمضي في عمق الماء ، وينشر شباكه ، ثم يعود ، فيجمعها وقد ملئت ، فيشعر بمتعة عظيمة ، لا تعادلها متعة الأكل المباشر غير المسبوق بصيد ، وبعض الناس لا يشتهي الصيد ، وإنما يشتهي السمك ويشتريه ، ويقوم بإعداده في بيته ، أو يشتريه جاهزًا مِنْ محاله ، ويأكله بالهناء والشفاء وفي المياه متسع لشهوات الناس ، والدين أوسع ، فإن هذا الدين متين ، وقد قال عليه الصلاة والسلام ، فأوغل فيه برفق وفي الصحيح : «**ولن يشادَّ هذا الدينَ أحدٌ إلّا غلبه**» .

www.ibtesamh.com/vb

www.ibtesamh.com/vb

الفصل الثاني

الشهوات الحرام

أحل الدين قبل أن يحرم ، حتى إنه قدّم الحلال على الحرام في مواضع متعددة من الكتاب الكريم ، ألا ترى إلى قول الله - عز وجل - : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

وقوله - عز وجل - : ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾[2] .

وفي سورة آل عمران نجد قول عيسى - عليه السلام - : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[3] .

---

(1) الأعراف : 157 .

(2) النحل : 116 .

(3) آل عمران : 50 .

www.ibtesamh.com/vb

ومعنى هذا أنه - عليه السلام - جاء ليحل بعض ما حرّم على نبي إسرائيل ، وكأن الدين تدرج ، وكلما جاء رسول جاء معه فرج قريب ، وقد أحلت الغنائم للنبي الخاتم - ﷺ - وما أحلت لنبي قبله ، وجعلت له الأرض مسجدًا وطهورًا ، وقال فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ وكما أشرت في الفصل السابق (حلال الشهوات) أنّ الحرام بالنسبة إلى الحلال قليل ، فالحلال واسع وفيه سعة ومندوحة عن الحرام .

وكما ذكرت بين يدي الحلال أن الإسلام دعوة إلى تجميله ، وفتح الشهية عليه ، أقول كذلك إن الحرام الذي نهى الله عنه ورسوله ، حُفَّ بالمخاطر ، وأحيط بالتحذير ، والترهيب حتى تعافه النفس ، وهو إما خبيث في ذاته وإما طيب في ذاته لكنه خبيث في مآله .

فالخبيث في ذاته مثل الميتة ولحم الخنزير فهما من قبيل الخبيث الذي تعافه النفوس السوية ولا تشتهيه النفوس ، إلّا إذا كانت غير سوية ، إنها نفوس شاذة ، كالذي تراه يشرب الكيروسين ونحوه مما إذا شمه صاحب النفس السوية أفرغ ما في بطنه .

وأما الطيب في ذاته الخبيث في مآله فمثل أكل مال اليتيم ، فلا شك أنه طيب في ذاته ، لكن خبيث في مآله ، حيث إن مآله إلى النار ، قال الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[1] .

وكالزنا بامرأة حسناء ، إنها بلا شك مغرية بجمالها ممتعة بمباشرتها ، ودلها ، وتجاوبها ، واحترافها عند الذين يريدون مثلها ، لكن مآلها إلى النار .

(1) النساء : 10 .

www.ibtesamh.com/vb

وكالغيبة ، فإن فيها شهوة ، يرغب فيها اللسان ، الذي يفند الغائب ويعيبه ، وكأنه يُزكي بذلك نفسه ، لكن مآله إلى النار ، وطيب أن تتحدث في الدين ، وتزعم أنك تصلح وأن الله يهدي بك العباد ، لكن حديثك بغير علم ، مآله إلى النار .

وقد زعم رجل أنه إذا وضع أحاديث عن رسول الله - ﷺ - في فضائل القرآن الكريم أقبل الناس عليه ؛ فقال ، قال رسول الله - ﷺ - : «**من قرأ سورة كذا استغفر له سبعون ألف ملك ، والمياه في البحار ، والطير في السماء**» ونحو ذلك ، وفي هذا ضلال مبين ، وقد جاء في الصحيح قول النبي - ﷺ - : «**مَنْ كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» .

والعلماء يقولون : إن الكذب على رسول الله - ﷺ - كالكذب له ، ومعنى الكذب له : الكذب من أجل أن يقبل الناس على دينه ، ومن ذلك إقبالهم بلا شك على تلاوة الكتاب الكريم معجزته الباقية .

وفي الصحيح : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أي مردود عليه .

ولن يرى المسلم المكلف الحرام طيبًا ، وإن كان طيبًا في ذاته - إلّا بتزيين من الشيطان ، ألا ترى إلى قوله - تعالى - : ﴿ **أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ** ﴾[1] .

ومن ثم وجب على الدعاة والوعاظ المهتمين بالخطاب الديني أن يبينوا مخاطر الشهوات الحرام ، بحيث يراها المكلف من حيث المآل ، لا من حيث الحال ؛ فإنها من حيث الحال قد تكون آية من آيات الجمال ، كما مثلت هنا ، لكن إذا نظر إليها

(1) فاطر : 8 .

www.ibtesamh.com/vb

العبد المكلف الذي آمن بالله - تعالى - وصدقه : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[1] . رآها دميمة ، لا خير فيها ، فلا خير في خير بعده النار ، ولا شر في شر بعده الجنة ، والله لم يأمر بشر ، ولم يأمر بفاحشة ، وإنما أمر بالخير والمعروف ، ونهى عن الشر والمنكر .

والأمة الإسلامية مكلفة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[2] . وقال - عز وجل - في المنافقين : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3] . فانظر إلى الفارق الكبير بين المؤمنين والمنافقين فأنت تراه فرقًا بَيْن الحياة والموت . والوجود والعدم فهناك مَنْ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يقيم بذلك الدين ويبعث الحياة ، وهناك من يأمر بالمنكر وينهى عن الفحشاء فيهدم بذلك الدين ، ويدمر بذلك الحياة .

السبع موبقات

ومن الشهوات الحرام ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - حيث قال : «**اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلّا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**» .

---

(1) النساء : 122 .

(2) آل عمران : 110 .

(3) التوبة : 67 .

www.ibtesamh.com/vb

فأول الموبقات (المهلكات) الشرك بالله - عز وجل - والناس عرفوا الشرك عبادة للأصنام ، والملائكة ، وبعض النبيين فلما سئلوا عن ذلك أجابوا بقولهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1] .

وصدق الله العظيم إذْ يقول : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[2] . وإذا أراد المرء أنْ ينأى بنفسه عن الموبقات ، وعن الشرك بالله - تعالى - لا يقبل من الدين إلّا الخالص ، كما لا يقبل من العمل إلَّا المتقن : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ فَٱدْعُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[4] . وقال سبحانه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[5] .

وقد جاء رجل إلى النبي - ﷺ - ليعرض عليه الإسلام فسأله رسول الله - ﷺ - :

- كم إلهًا تعبد ؟

- فقال : عشرة يا محمد ، واحدًا في السماء ، وتسعة في الأرض .

فقال له - ﷺ - :

- من الذي إنْ أجدبت ينزل عليك الغيث ؟

- قال : الذي في السماء .

- قال - ﷺ - : ومَنْ إذا دعوته أجابك ؟

---

(1) الزمر : 3 .

(2) يوسف : 106 .

(3) الزمر : 3 .

(4) غافر : 14 .

(5) البينة : 5 .

www.ibtesamh.com/vb

- قال : الذي في السماء يا محمد .

- فقال - ﷺ - : إذًا ، لا داعي إلى التسعة .

ومع إيمان الناس بأن الله - تعالى - رب العالمين هو الإله المعبود بحق ، النافع الضار إلّا أن الشرك يشبه الشهوات . يريدون مع هذا التوحيد شيئًا أي شيء ، كالذي يريد دجالًا يقرأ له الفنجان ، وتيسر له المنام ، وهكذا .

وكذلك شهوة السحر ، ألا ترى إلى قول الله - تعالى - : ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

تأمل قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ ﴾ .

فهذا شأن الشهوات ، وعاشقيها ، لو قيل لصاحب الشهوة : احذرها ؛ فإنها ضارة ازداد إقبالًا عليها ألا ترى إلى المدخن الذي قد يكون طبيبًا ، بل شيخًا في الطب ويعلم ضرر التدخين . ويشاهد ما على علب السجائر من رسوم تجعل النفس

(1) البقرة : 102 .

www.ibtesamh.com/vb

تشمئز ، ومع ذلك يدخن ؛ لأنها قد تمكنت من دمه ، وصارت عادة سيئة له ، رآها حسنة ، بل إن مَن المدخنين من يفطر عليها في رمضان ، بدل أن يتناول ثمرة ، أو جرعة من الماء .

وكذلك الذين علموا الناس السحر ، قالوا إنما نحن فتنة فلا تكفر ، ومع ذلك رضي التلميذ بالكفر وتعلم السحر الذي هو من الكبائر .

ومع وضوح قول الله - تعالى - : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ في أن يلجأ العبد إليه قائلًا : يا مَنْ بيده النفع والضرر ، احفظني من شر خلقك ، ومن كل ما يضرني ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[1] .

نرى - مع وضوح ذلك - مَنْ يذهب إلى الدجالين والعرافين وهو يقول : لا إله إلا الله .

بل مَنْ يعتقد أن أموره في الحياة لا تسير إلّا بمثل هذه الأعمال ، وأن الناس البركة هم وراء نجاحه وتوفيقه ، بل إن في الناس مَنْ يعتقد في حيوان يظن أنه (مرزق) وأن بيته إذا خلا منه فلن يدخله رزق ، وكذلك من يعتقد في الخرزة الزرقاء ، والمسبحة الزرقاء ، وغير ذلك من صنوف التوارث عن الجاهلية من التطير والتشاؤم ، والتفاؤل .

وقد ثبت أنه - ﷺ - كان يعجبه الفأل الحسن ، ويحب الاسم الحسن ، ولكن مع العمل لا الكسل ، والتوكل لا التواكل .

---

(1) الفلق : 1 - 5 .

www.ibtesamh.com/vb

وقد قلت في حديث «مَنْ يذبح لنا» حيث قام أكثر من واحد ، يلبي دعوة رسول الله - ﷺ - وقال لأحدهم : اجلس ، لما سأله عن اسمه ، فلم يرضه ، وقام صاحب الاسم الحسن ، فأمره بالذبح ، قلت : لو لم يكن يجيد الذبح لما أمره - ﷺ - بأن يذبح : إذْ لا يكفي الاسم الحسن مسوغًا لكي يذبح صاحبه ، أو حامله ، ولو لم يكن غير «حنظلة» أو مُرّة يجيد الذبح لأمره النبي - ﷺ - بأن يذبح .

فالعمل في هذا الدين قائم على الخبرة ، لا على الاسم الحسن ، ولا حتى على التدين ، بدليل أنه - ﷺ - اتخذ عبد الله بن أريقط دليل هجرته الغراء ؛ لأنه خِرّيت (أي : خبير) بالطرق ، وكان مشركًا وأمر سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - بأن يعالج وهو مريض على يد الحارث بن كلدة ، ومكان يومئذ على شركه .

وقد شاع بين كثير من الناس «يكفي اسمه» و(يكفي خلقه - لمجرد الشكل) ويكفي أنه حسيب نسيب ويكفي أنه من بلدنا ...

وكل ذلك من قبيل التعصب غير المدوح وقد جر علينا من الويلات والخسائر الكثير ؛ لأننا تركنا الأصل الأصيل الذي يعول عليه ، وهو الخبرة ، والتجربة والإتقان إلى فرع ، لا يرقى إلى مستوى الفروع ، من الاسم الحسن ، واللقب الجميل ، أو الشكل ، أو القرابة ، أو غير ذلك مما لا يصلح أن يكون مسوغًا لإسناد الأعمال العظيمة ، التي يتوقف عليها مصير الفرد والأمة .

ومن السبع الموبقات قتل النفس التي حرم الله إلّا بالحق الذي يتمثل في القصاص ، والثيب الزاني ، والمرتد .

وقد دعا الإسلام إلى إحياء النفوس لا إلى إراقة الدماء ، ولدينا قاعدة نفسية في هذا السياق ، هي أن ما يمكن علاجه بالكلمة لا يعالج بالعصا ، وما يمكن أن يعالج بالعصا لا يعالج بالسيف .

www.ibtesamh.com/vb

لكن لدى كثير من الناس شهوة المخالفة للقواعد ؛ كصاحب الشهوة في مخالفة إشارة المرور ، وصاحب شهوة السير في الاتجاه المعاكس .

أي إنّ هناك مَنْ يبدأ بالسيف وهناك من يدخل بيته ، نرى شيئًا لا يسره ، فإذا به يصفع مَنْ يصادف ، من زوجة أو بنت أو ولد ؟ دون أن يخاطب أحدًا بلسان .

ومن السبع الموبقات أكل الربا ، شهوة الكسل التي تدفع بصاحبها إلى أن يقرض مالًا بالربا دون أن يعمل ، فلما قال الدين : اعملوا ، ردوا قائلين ، إنما البيع مثل الربا ؛ فقال الله - عز وجل - : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾[1] . ومنها شهوة أكل مال اليتيم ظلمًا ، قال الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[2] .

ومنها شهوة قذف المحصنات المؤمنات ، وقد قال الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3] .

وقد تفشت هذه الشهوة في كثير من المجتمعات ، فأنت تجد أمة من الناس تجتمع في بيت من البيوت ، وقد يكون هذا الاجتماع بسبب حضور درس ديني ، وقبل أن يبدأ الدرس ، وبعده تسمع كثيرًا من الحضور يتناول الأعراض : فلانة كذا ، ومشت مع فلان ، وتزوجت فلانًا من أجل ماله ، وما زالت على علاقتها القديمة مع فلان وفلانة - ربنا يحفظنا ، ماذا أقول لك ، كذا أم كذا أم كذا .

---

(1) البقرة : 275 .

(2) النساء : 10 .

(3) النور : 23 .

www.ibtesamh.com/vb

وفي النهاية لنسمع هذه العبارة التي تتكرر في مثل هذه الاجتماعات وهي «عندنا بنات ، كفى كفى ، ربنا يستر على الجميع» وذلك بعد أن خاضوا في كل حديث سيئ ، وجرحوا كل عرض كريم .

ومن تلك الشهوات المحرمة شهوة التولي يوم الزحف أي يوم لقاء الأعداء ، فإن قيل : أهذا القول من قبيل الشهوات ؟

فالجواب نعم : وذلك لأن أكثر الناس . يرغبون في إبراز شجاعتهم الوهمية .

وقد أشار النظم الجليل إلى ذلك ، حيث قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾[1] .

وقد حذر ربنا - تعالى - من التولي يوم الزحف ؛ فقال - عز وجل - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2] .

يذكرك ذلك بالذي يثير المعارك ، فإذا نشبت معركة فرّ ، ولم يره أحد والقتال في الإسلام مشروع لنصرة الدين والأركان وقد قال - تعالى - : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[3] .

---

(1) محمد : 20 ، 21 .

(2) الأنفال : 15 ، 16 .

(3) الحج : 39 .

www.ibtesamh.com/vb

وقد نال المجاهدون في سبيل الله شرفا ما بعده شرف فما من أحد يموت ، فيتمنى أن يرجع إلى الدنيا إلّا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ، ثم يقتل ، ثم يرجع فيقتل ثم يرجع فيقتل ، لما يرى من الكرامة ، كما جاء في الحديث الشريف .

فكيف يفر امرؤ يعرف أنه إما أن ينال الشهادة ولا أحد يصل إلى منزلته ، وإما أن يعود بالنصر والغنيمة ، أي إنه حتما سيرجع بإحدى الحسنيين إلّا إذا كان قلبه خاليًا من اليقين .

ولو كان قلبه عامرًا باليقين لأدرك أنه حال الشهادة مقبل على ما عند الله - عز وجل - وما عند الله - عز وجل - خير من الدنيا وما فيها ، وقد قال الله - عز وجل - في سياق ذلك : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

وقال في الآية بعدها ردًّا على المنافقين : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾[2] .

والحسنيان : النصر أو الشهادة .

وقد كان الرجل يقول للنبي - ﷺ - أليس بيني وبين الجنة سوى أن أقاتل هؤلاء ، حتى يقتلوني ! فيقول - ﷺ - : نعم . فيقول الرجل : بَخٍ بَخٍ ، يلقي ما في فمه من تمرة يمضغها ويحمل سيفه ، وينزل ساحة القتال ، ليلقى الله - عز وجل - شهيدًا مغفورًا له .

---

(1) التوبة : 51 .

(2) التوبة : 52 .

www.ibtesamh.com/vb

ذلك صاحب اليقين ، لا الذي إذا دعا الداعي إلى الجهاد تولى يوم الزحف ، وقال كما قال المنافقون لو نعلم قتالًا لاتبعناكم .

شهوة الرياء :

معنى الرياء أن يرى الناس أعمالك الصالحة ليقولوا فيك : كريم ، معطاء ، شجاع ، خيِّر ، مصلٍّ ، متصدق ، حاج ، معتمر .

والرياء شهوة محرمة : لأنه يذهب بالعمل ، فالله - عز وجل - لا يقبل إلّا العمل الخالص لوجهه ، وقد قال - عز وجل - : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾[1] .

وقد روى البخاري في صحيحه في باب الرياء والسمعة قول النبي - ﷺ - : **«مَن سمّع سمع الله به ، ومن يرائي يرائي الله به»** .

كما جاء في الحديث أن العبد يؤتى به يوم القيامة ، ويأمر الله - تعالى - ملائكته أن يأخذوه إلى النار ، فيقول : أنفقت الأموال في سبيلك ، وأطعمت عبادك ، فيقول الله له : فعلت هذا ؛ ليقال : كريم ، وقد قيل .

وهكذا يفعل بالعبد الذي كان يقرأ القرآن ، من أجل أن يقال قارئ . وقد قيل ، وبالعبد الذي ظنه الناس شهيدًا ؛ لأنه قاتل ليقال : شجاع ، وقد قيل . فأي عمل قام على الرياء يحبط يوم الدين ، حيث يكون كل إنسان في أشد الحاجة إلى عمل مقبول ينفعه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم ، وقد قال ربنا - تعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ

(1) الماعون : 4 - 7 .

www.ibtesamh.com/vb

تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[1] .

فالذي ينفق ماله من أجل أن يراه الناس ، ويقولوا فيه المديح مثله كمثل حجر ناعم (صفوان) عليه تراب ، فأصابه مطر شديد ، فتركه ناعمًا أملس ، لا شيء عليه أي إن الرياء بمثابة ذلك الوابل ، الذي هطل على صدقة المرائي ، فأزاحها ، وترك صاحبها كما ترك الحجر الناعم إثر نزول المطر الشديد عليه ، وعليه تراب ضعيف يستطيع أن يزيله (طل) : [مطر خفيف] فضلًا عن الوابل الشديد .

وقد قال المولى - عز وجل - في الأبرار الذين أطعموا الطعام على حبه : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾[2] .

وقال في وصف المنافقين : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3] .

ومن نوادر ما يُحْكَى عن المرائين أن أحدهم كان يصلي في المسجد ، فأطال الركوع ؛ فنظر إليه رجل ، وقال : ما أجمل ركوع هذا الرجل وما أشد خشوعه ؛ فقطع المرائي ركوعه ، وقال لهذا الرجل : وماذا لو علمت بأني اليوم صائم أيضًا .

---

(1) البقرة : 264 .

(2) الإنسان : 8 - 12 .

(3) النساء : 142 .

www.ibtesamh.com/vb

وفي الرياء كلمة يجب أن نذكرها ، وهي أنه قد يوسوس الشيطان إلى المرء أنه يرائي ، وأن عمله ليس خالصًا لوجه الله ؛ وذلك حتى يمنعه من عمل الخير ، خصوصًا إذا شعر المرء بأن اطلاع الناس على أعماله الصالحة يعجبه .

وقد قال ذلك الرجل للنبي - ﷺ - قال له : إنه يعمل العمل بالسر ، فيطلع عليه الناس ؛ فيسره ذلك ؛ فقال له - ﷺ - لك ثواب السر وثواب العلانية .

فلا يلتفت أحد إلى تلك الوساوس ، وليعمل الخير ما دامت نيته صادقة لوجه الله ، فهذا بمثابة اجتماع الغرضين : الأصلي والثانوي ، فالأصلي أنّ العمل لوجه الله - تعالى - والثانوي أن يسره بعض سرور أن يطلع عليه الناس .

وقد يبدي المرء صالح العمل للناس حتى تيأسوا به ، وليس هذا من الرياء أيضًا ، قال الله - تعالى - : ﴿ **إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾[1] .

وصدق رسول الله - ﷺ - حيث قال : «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه**» .

شهوة السرقة

ظاهرة شهوة السرقة بخلاف شهوة الرياء ؛ فإنها مما يتعلق بالنيات وكل ما يتعلق بالنيات والداخل فهو من الباطن نعمة كان كالرضا أو نقمة كان كالسخط ، والرياء ، والنفاق ، والبغضاء ، وغيرها ، هناك رجل يقال فيه : له عذر ،

(1) البقرة : 271 .

www.ibtesamh.com/vb

يسرق لكي يأكل ، وليس هذا بعذر ؛ فقد أُحِلَّ سؤال الناس ، وهو عزيز ، إذا كان المرء فقيرًا فقرًا مدقعًا ، قال - عليه الصلاة والسلام- : «**إن المسألة لا تصلح إلَّا لذي فقر مدقع ، أو لذي غرم (دين) مفظع ، أو لذي دم موجع (دية كبيرة)**» .

ولكن هناك غني ، يشتهي السرقة ، وإن سمّاها بغير اسمها بأنها تجارة ومهارة ، و«حداقة» ومعرفة من أين تؤكل الكتف إلى غير ذلك من المصطلحات .

وقد يتمثل ذلك في التطفيف ، قال الله - عز وجل - في صدر سورة المطففين : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] .

وقد يتمثل في سرقة بعض الأواني من المرافق العامة ، ومنها أن يأخذ ما على مائدته وهو في الطيارة ، يخفيها في حقيبته يدسها ، ويسلم المضيفة بقيته خالية مِنْ بعض الملاعق والشكوك ، وغير ذلك من الأمثلة .

ومِنْ ذلك أن يسرب موظف من الموظفين أدوات من شركته التي يعمل فيها إلى بيته ، وأولاده ، من أقلام وأوراق ، وكراسي ، وغيرها .

وهذا يعد من الغلول الذي نهى الشرع الحنيف عنه ، بأن يأخذ الإنسان ما ليس من حقه أن يأخذه ، وقد بين النبي - ﷺ - أن مَنْ أخذ بقرة جاءته بقرة من نار يوم القيامة ، ومن أخذ شاة غلولًا جاءته شاة من نار يوم القيامة ، وقال : أدوا الخائط والمخيط ، حتى قال رجل إنه أخذ شيئًا يصنع منه بردعة لحماره ، أي شيئًا تافهًا فقال له - ﷺ - أما نصيبي منه فهو لك ؛ فقال : يا رسول الله ، لا حاجة لي فيه ، ورماه بين الناس .

---

(1) المطففين : 1 - 6 .

www.ibtesamh.com/vb

وقد كان للنبي - ﷺ - خادم اسمه «مدعم» رآه الناس ، وقد أصابه حجر ، فلقي الله ، فذهبوا إلى النبي - ﷺ - يبشرونه بأن خادمه مدعمًا قد لقي الله شهيدًا ؛ فقال عليه الصلاة والسلام ، لكني أراه في النار ، وبين لهم سبب ذلك . بسبب الشملة التي أخذها غلولًا يوم خيبر ، والشملة شيء تافه ، كالدرهم ، أو الدرهمين اللذين وجدا في رحل رجل آخر فكان وباء على قومه ، حيث لم يتقبل الله منهم ؛ فقال لهم نبيهم : إن فيهم رجلًا غلولًا ، فوجدوا في رحل هذا الرجل الدرهم أو الدرهمين .

ولما سمع الناس ما قاله - ﷺ - في خادمه مدعم أخذ كل من أخذ شيئًا ليس من حقه يأتي به ويضعه بين يديه - ﷺ - والنبي - ﷺ - يقول : شملة من نار ، وخف من نار ، وهكذا .

وقد قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾[1] .

ومن دعاء المسلمين : «اللهم أغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك» .

شهوة الخمر :

والخمر من الشهوات الحرام ، وقد حرمها الإسلام على مراحل وتدرج ؛ لأنها كانت متوغلة في دماء كثير من الناس .

ذهب الأعشى الشاعر إلى النبي - ﷺ - ليعلن إسلامه ؛ فقابله بعض المشركين ، وسألوه إلى أين فقال : إلى محمد ﷺ .

فقالوا له : أتدري أنه يحرم الزنا ؟

فقال الأعشى : لا حاجة لي في النساء .

(1) النساء : 10 .

www.ibtesamh.com/vb

فقالوا له : أتدري أنه يحرم الخمر ؟

فقال : أما هذه فلا غنى لي عنها ، أروي النفس منها هذا العام وآتيه العام القابل ، وقبل أن يأتي العام القابل مات الأعشى على كفره .

وهكذا مدمن الشهوات ، يمني نفسه بالتوبة والصلاح ثم يدركه الأجل ، فيموت - والعياذ بالله - على معصية والخمر أم الخبائث ، ومما روي في ذلك أن رجلًا خيَّره الشيطان بين شربها ، أو الزنا بامرأة ، أو قتل صبي فرأى أن الأهون أن يشرب الخمر ، فلما شربها زنا بالمرأة وقتل الغلام ؛ وذلك لأن الخمر مذهبة للعقل مناط التكليف والإدراك .

وقد روي أن المسلمين أراقوها حتى فاضت بها الشوارع عندما نزل القطع بتحريمها ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ ﴾[1] .

شهوة الزنا

الزنا من الكبائر ، والشهوات المحرمة ، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[2] .

وقد سأل رجل - رسول الله - ﷺ - فقال : يا رسول الله ، أي الذنب أعظم عند الله ؟

فأجابه - ﷺ - بقوله :

- أن تشرك بالله وقد خلقك .

---

(1) المائدة : 91 .

(2) الإسراء : 32 .

www.ibtesamh.com/vb

فقال : ثم أي ؟

قال - ﷺ - : أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك .

قال : ثم أي ؟

قال - ﷺ - : أن تزني بحليلة جارك .

والزنا بحليلة الجار ، وبغيرها حرام قطعًا ، لكنه بحليلة الجار أشد ؛ لأن من شأنها أن تصان ، وكذلك ما يطلق عليه زنا المحارم ، أي أن يزني المرء بأمه ، أو أخته ، أو ابنته ، أو عمته وهكذا .

وقد ورد في صحيح البخاري أن أحد الثلاثة الذين دخلوا الغار ، فأطبقت على بابه صخرة سدت عليهم ، فتوسلوا إلى الله - تعالى - بصالح أعمالهم .

قال : إنه كان يحب ابنة عم له ، وجاءته في حاجة إلى بعض ماله ، فراودها عن نفسها حتى يعطيها ، فلما استسلمت له ؛ لشدة حاجتها ، وهمَّ أن يباشرها وجدها ترتعد وتقول له : اتق الله ، ولا تفض الخاتم إلَّا بحقه ، فقال : امرأة تتقي الله ، وأنا رجل لا أتقيه ، ولم يقربها ، وأعطاها المال الذي تريد ، وتوجه إلى الله - تعالى- في شدته ، وقال : اللهم إن كنت قد فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ؛ فانفرجت الصخرة .

وقد روت كتب الأدب أن أحد الملوك أعجبته جارية حسناء من جواريه ، فأمر جلساءه بالانصراف ما عداها فلما اختلى بها أراد أن يوقعها : فقالت له :

أيها الملك ، إني أخشى على هذا الوجه الجميل من النار ، والحلال أسهل ؛ فقال : صدقت ؛ وأرسل إلى القاضي ؛ فعقد عليها ، وتزوجها .

لكن أهل الهوى يتلذذون بالفاحشة أكثر مما يتلذذون بالحلال ، مع أن السبيل إلى اللذة واحد بلا شك ، وهو إتيان المرأة .

www.ibtesamh.com/vb

لكن هناك مَنْ يأتيها على الوجه الحلال ، وهو المؤمن ، أو الحر - بايع رسول الله - ﷺ - النساء على ألا يشركن بالله شيئًا ، ولا يسرقن ، ولا يزنين .. فقالت هند بنت عتبة :

- أو تزني الحرة يا رسول الله ؟

تعجبت هند - رضي الله عنها - من أن يكون النهي عن الزنا دينًا ؛ لأنها تراه من طباع سليمة - تأباه ، ومن كان ذا طبع سليم يأبى الفواحش والشهوات الحرام فليحمد الله أن وافق دينه هواه .

وعليه عندئذ أن يحتسب ما يوافق الطبع والدين عند الله ، حتى تتغير النية من طبع إلى دين فقد جاء في الصحيح الذي رواه البخاري أن اللقمة يضعها الزوج في فم زوجته صدقة .

وما من شك في أن كثيرًا من الرجال يحبون أن يضعوا في أفواه زوجاتهم اللقمة ، وغير اللقمة باسم المروءة ، والكرم ، وسلامة الطباع ، والحب فإذا جاء الدين ، وجعل هذا السلوك منه ، وأثاب عليه لم يبق على هذا الرجل أو ذاك من أصحاب السلوك الحضاري الطيب إلى الاحتساب ، بأن تتغير النية مما سبق ذكره إلى الدين .

ومعظم السلوك من الاكتساب ، وذلك معناه أن الدين يزرع في النفوس مبادئه ، فإذا بها تنطلق إلى غاياته ومقاصده وكأنها ولدت هكذا ، وفطرت عليه .

أي إنّ الذي وجد اللذة في الحرام يستطيع أن يراها كما يراها الدين سيئة لا لذة ، وذلك بأن يخاف عذاب الله - عز وجل - ويخشى النار التي وقودها الناس والحجارة ، فيتوب إلى الله - تعالى - الذي يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن كثير .

وهنا كلمة مهمة ، أسأل الله أن ينفع بها ، وهي أن الحلال أحيانًا نحن الذين نجعله غير طيب بينما نرى الحرام طيبًا ؛ وفي هذه المسألة بالذات يعزف الزوج عن

www.ibtesamh.com/vb

زوجته ، ويراها غير طيبة ، بينما يرى الأجنبية أطيب ريحًا ، وألذ شهوة ، وقد بحثت هذه المسألة من وجوه ، فخلصت إلى ما يأتي :

1 - أن الأجنبية متزينة متعطرة في كل لقاء حرام ، والعياذ بالله ، فلا يراها مشتهي الحرام إلّا في أكمل أحوالها ، ولا شك أن لها أحوالًا أخرى لا تسر .

وفي بحث قديم جاء فيه أن تلميذ المرحلة الابتدائية يوقر معلمه ، وأبوه أستاذ جامعة ، لا يحظى منه بهذا التوقير ، وأجيب عن سبب ذلك بأن هذا الصبي لا يرى معلمه إلّا في أكمل أحواله ، لكنه يرى والده كذلك حينًا ، ويراه أحيانًا على غير ذلك ، فهو لا يراه في البيت على تمام هيئته ، وملابسه ، وعطره ، كما يرى معلمه كل يوم في مدرسته هكذا .

2 - وأن الأجنبية توقر الرجل دائمًا بخلاف زوجته التي توقره حينًا عندما يكونا بين الناس ، وتخلع عنها وعنه ثوب الوقار ، لا لممارسة شهوة ، وإنما لتعيره بماضيه ، وسوء حال أهله ، وغير ذلك .

فالزوجة في الغالب ترى زوجها متخلفًا ، وزوج أختها خيرًا منه ، فهو كسيب ، وحريف ، ومشتري الغالي من السلع المعمرة ، وغير المعمرة ، وغير ذلك ، وعنده شقة في مكان كذا ، وشقة أخرى في مكان كذا ، وشاليه في منطقة كذا ، وهكذا ، أما زوجها فيستطيع أنْ يشتري ذلك وأكثر ، لكنه غاوٍ فقرًا ، ويتمسح بالحلال والحرام بخلاف الأجنبية التي تراه عبقري زمانه ، وفخر أنداده ، وسابق لداته .

3 - وأنه يرى الأجنبية متحفظة دائمًا في قولها ، وحركتها ، تبدي ما يغري ، وتخفي ما يزري ، وهكذا كانت زوجته قبل الزواج إلّا أنه وجدها بعد الزواج كسائر الناس .

www.ibtesamh.com/vb

وكذلك الزوج الذي كان قبل الزواج في أتم أحواله ، وكان يعرب عن حبه وامتنانه صار يسيء إلى زوجته فاستهواها غيره ، ومما حكاه الوعاظ القدامى أن رجلًا أعمى ، كان يزني ، وعرفت زوجته البيت الذي كان فيه ذلك السوء ، فذهبت إلى صاحبته القوادة ، وقالت لها : إنني قادمة من أجل هذا الأعمى ، الذي يأتيك ، دون غيره ، ودفعت لها مبلغا من المال ، وقد كان ، ودخل عليها الأعمى الذي هو زوجها ، وباشرها واستمتع ، فلما كانت الليلة القادمة عزف عنها في البيت ، وأعطاها ظهره ، فذكرته بعلاقة كانت في الليلة السابقة ، قال لها : أهي أنت ؟

قالت : نعم .

فقال لها : ما أطيبك في الحرام ، وما أخبثك في الحلال .

شهوة التجسس

نهى الله - عز وجل - عن التجسس ، ومعرفة أخبار الناس على حين غفلة منهم ، والتجسس شهوة بلا نزاع ؛ لأن الذي يريد أن يعرف هذه الأخبار تراه حريصًا على معرفتها من أي طريق ، حتى لو دفع ثمن ذلك ، قال الله - عز وجل - ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾[1] .

ومن الناس مَنْ يتجسس عليك ، ويعرف أخبارك ، ويفسر ما سمعه على هواه ، ولا شك أن ناقل هذه الأخبار يزيد فيها من عنده ياته ، وتلقاء نفسه ، فهو أيضًا ذو شهوة الإضافة ، والتحليل ، والتعليل ، فيعين بذلك من كلفه بنقل تلك الأخبار على تفصيلها على هواه ، وعلى ترجمتها بحسب الأصل الذي قد يكون غير صالح للترجمة ، أو للتفصيل إلّا مع تلك الزيادة والحواشي .

---

(1) الحجرات : 12 .

www.ibtesamh.com/vb

ولو سأل صاحب الشأن لكان خيرًا له ، فقال له : ما أخبارك ؟ وفي نيته أن يهنئه إذا كان في مسرة وأن يعزيه إذا كان في مضرة ، وليس مثل كثير من الناس ، الذين يرغبون فقط في معرفة الأخبار ، والتشفي في نياتهم ، يشفي بعض غليلهم أنّ يعرفوا أن فلانا في ورطة ، وفلانا في أزمة ، وفلانا في مشكلة ، لا غير ، لكنهم لا يعقلون ما فعله ذلك الرجل الصالح الذي بلغه أن جارًا له أراد أن يبيع داره ، فلما جاءه المشتري بثمنها ، قال له :

هذا ثمن داري ، فأين ثمن جاري ؛ فتعجب المشتري ، وقال ما سمعنا بجار يباع !

فقال صاحب الدار :

أما تشتري جوار مَنْ إذا غبت سأل عنك ، ومَنْ إذا احتجت أعانك ، ومَنْ إذا أسأت إليه أحسن إليك ؟! فلما علم جاره بذلك أيقن أنه يبيعها مضطرًّا ؛ فأرسل إليه ثمنها ، وقال له : بارك الله لك في دارك وفي جارك . فمن ذا الذي بلغه نبأ ، أو خبر بأن فلانًا في كربة ؟ فنفَّس عنه كربته حتى ينفس الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي - ﷺ - .

إن بعض الناس يعلم بنحو ذلك ، ولا يفعل شيئًا فإن قابله مَنْ عرف خبره ، وعاتبه بأن لم يزره إذْ كان مريضًا ، ولم يُعزِّه إذْ مات أبوه أو أمه ، أو ولده أقسم له بوكيد الأيمان أنه لم يصله شيء من ذلك .

وشهوة اليمين الغموس ، التي ما سميت غموسًا إلَّا لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم عند بعض الناس خصوصًا هؤلاء الذين يشتهون التجسس ومعرفة الأخبار لذات المعرفة فقط ، لا لكي يقدموا تهنئة في مسرة ، ولا مواساة في مصيبة .

www.ibtesamh.com/vb

شهوة السخرية :

والسخرية كذلك من الشهوات المحرمة ، قال الله - عز وجل - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ ﴾[1] .

وقد كان الحكم بن أبي العاص يقلد النبي - ﷺ - في مشيته ، وكان عليه الصلاة والسلام ، إذا مشى بدا كأنه يتكفأ ؛ فنظر مرة ؛ فوجد الحكم يقلده في مشيته ؛ فقال له «كذلك فكن» فظل ما بقي من عمره يختلج ، وكأن به جنونا حتى مات عليها .

هناك من يسخر من الناس ، فإن لم يجد أحدًا يسخر منه سخر من نفسه ، كما روي عن الحطيئة ، أنه كان يهجو الناس ، حتى هجا أمه ، وهجا نفسه ، وقد اشترى منه عمر بن الخطاب - أعراض المسلمين ، لـمَّا حبسه ؛ فاستعطفه وأنشده :

مَـاذَا تَقُـولُ لأَفْـراخٍ بِـذِي مَرَخٍ زُغْبِ الحَواصِلِ لا مَاءٌ ولا شَجَرُ

أخرجه من سجنه ، وتركه ، وأعطاه أموالًا ، قيل اشترى بها منه أعراض المسلمين .

شهوة الكذب :

حين أمر الله - عز وجل - رسوله - ﷺ - أن يذكر في الكتاب إبراهيم قال له : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا ﴾[2] .

ومن دعاء القرآن الكريم : ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾[3] .

---

(1) الحجرات : 11 .

(2) مريم : 56 ، 57 .

(3) الشعراء : 84 .

www.ibtesamh.com/vb

ومن الصفات الواجبة للرسل جميعًا «الصدق» الذي يشمل الصدق في القول ، وكذلك الصدق في العمل ، بأن يطابق القول قال الله - عز وجل - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1] .

وحين اشتد الخطاب على المسلمين يوم حنين ، حيث أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئًا ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وولوا مدبرين ، وأنزل الله - تعالى - سكينته على رسوله ، ومن ثبت معه ، أخذ يناول الناس ، قائلًا :

أَنَا النَّبِـيُّ لَا كَـذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْـدِ المطَّلِبْ

لكن هناك من يشتهي الكذب دون الصدق ، فيظل يكذب ويكذب ، حتى يكتب عند الله كذابا ، كما جاء في الحديث الشريف : «**إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة وما زال الرجل يصدق ، ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، وما زال الرجل يكذب ، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا**» .

نعم هناك مَنْ إذا صدق اختنق ، وقد رُوي أن أحد الكذابين ذكر موقفًا ، وقال لولا أن يقال صدقت لذكرته ، ولم يذكره للناس ، وإنما ذكر لهم هذه العبارة .

مأساة أن يكون المرء كذابا ، وهو يستمرئ الكذب ويعشقه ، ويشتهيه ، حتى يصدق نفسه بأنه صادق أو حتى يستقر في نفسه أن الكذب خالق عظيم ، وهو أسوأ درجات الخلق السيئ ، والعياذ بالله لأن الشيطان يزين السوء ، حتى يراه وليُّه حسنا ألا ترى إلى قول الله - تعالى - : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ

(1) الصف : 2 .

www.ibtesamh.com/vb

﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾[1] .

شهوة اللغو

يصف الله - عز وجل - اللغو من حيث إعراض المؤمنين عباده عنه بأنه سيئ ، وما أشبهه بالقاذورات ، فقال تعالى مرة : ﴿ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[2] وقال مرة أخرى ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴾[3] .

ولا يعرض العاقل عن شيء نافع ، ولا يمر مرور الكرام على شيء جميل ، إنما يكون الإعراض عن السوء وما لا خير فيه .

واللغو كل كلام فارغ ، أو غير فارغ ، ولكنه قيل في وقت لا يقال فيه .

والشائع بين الناس الأول ، وقد هداني الله - عز وجل - إلى الوقوف على الثاني من حديث رسول الله - ﷺ - : «**مَنْ قال لأخيه والإمام يخطب أنصت ، فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعة له**» .

فلا شك أن قول المرء لأخيه المشغول بشيء في ثوبه أو بدنه ، أو يحاول أن يكلم غيره : «أنصت» من عظيم الكلام ، والنصح ، ولكن عده النبي - ﷺ - من قبيل اللغو ، الذي يذهب ببركة الجمعة ، وبهائها وجمالها ، وكمال ثوابها ، وبناء على ذلك فما أكثر الذين يقولون اللغو ، في المحاضرات ، والمناسبات العامة والخاصة ، وكل ما من شأنه أنْ يلتزم فيه الصمت والإنصات ، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[4] .

---

(1) فاطر : 8 .

(2) القصص : 55 .

(3) الفرقان : 72 .

(4) الأعراف : 204 .

www.ibtesamh.com/vb

فما نقول في الذين يوقفون مؤشر الراديو عند إذاعة القرآن الكريم ، أو يديرون الكاسيت على تلاوة للذكر الحكيم ، وهم يخوضون في كل حديث ، ولا يستمعون إلى آية ولا يتدبرون معنى ، ولا يفيدون من نور ، أليس ذلك الحديث الذي يكون مِنْ قبيل اللغو ؟! والقرآن الكريم يُتْلَى والذي يرفع الصوت ، صوت المذياع ، أو التلفاز وغيرهما بالكتاب العزيز يجعل غيره ذا لغو ؛ لأنه يمارس حياته قراءة وكتابة ، وخطابًا ، وبيعًا وشراء . وعليه أن ينصت إلى تلاوة الآيات ، وإذا أنصت توقفت حركة حياته .

والخروج من هذا كله ، ومِنْ غَيْرِه يكون بأن يُسْمِعَ المرء نفسه ، وينصت ، ولو قليلًا ، فالله - عز وجل - يقول : ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾[1] وألا يشوش على غيره ، ولو بالقرآن الكريم ، فالتشويش ولو بالقرآن الكريم لا يجوز ثم تصور ما صار عليه حال كثير من الناس . بالنسبة إلى اللغو ، الذي تفشَّى في اجتماعاتنا ، حتى على مستوى القمم ، حضرت ذات مرة اجتماعًا عظيمًا ، وراعني ذلك حيث كان موعد الاجتماع في العاشرة صباحًا ، ولكنه بدأ في الحادية عشرة ، وانتهى قبيل الثانية عشرة ، وما كان فيه من جدول أعمال لا يتجاوز الدقائق العشر ، وما سوى ذلك لغو ، من سلام ، وكلام في كل شيء ونكات ، ورد على أجراس المحمول ، صداع في الرأس ، وحشو في الآذان ، ولا فائدة .

ولكثرة اللغو وتفشيه صار الناس ينسون الموضوع الأساس الذي من أجله جاءوا ، واجتمعوا . فالكلام يجر بعضه بعضًا ، ويسحبه ، وهو ذو شجون ، ولا ينتهي وقد انتظرت رجلًا كان يصحبني في محاضرة علمية وقتًا طويلًا حتى يفرغ مِنْ حديثه الجانبي مع شخص آخر فلما جاءني سألته : فيم كان الحديث الطويل ؟ فقال لي : أبدًا ، كان يسألني عن موضوع محاضرتك ، سخرت من هذا

(1) المزمل : 20 .

www.ibtesamh.com/vb

العبث ، وقلت له : لقد شرحت له المحاضرة بالنيابة عني . ولكثرة اللغو الذي يستنزف الوقت صار الجد من الكلام يقاس عليه .

عرفت معظم الناس لا يسعده أن تكون المحاضرة العلمية في وقت قصير ؛ إنما يريدها ساعة وساعتين لا ليفيد ، فهو لا يتحمل سماع علم في هذا الوقت الطويل ولكنه يريد ثرثرة ، من أثر تعوده على اللغو .

وقد تسرّب ذلك إلى كثير من الأئمة والوعاظ ؛ ترى الواحد منهم يخطب الجمعة في ساعة وزيادة ، ولو حاولت أن تتوقف عند موضوع له يصح أن يكون عنوانًا لها ما استطعت ، لقد تحدث في عشرات الموضوعات ، وخاض في السياسة والفنون وحدثك عن كل شيء إلَّا موعظة حسنة تذكرك ، والذكرى تنفع المؤمنين ، صداع في الرأس ، وحشو في الآذان ولا فائدة يعود عليها ، ولا خير نخرج به من خطبته ، ومن السنة أن تكون الخطبة قصيرة ، والصلاة طويلة ، لا إلى درجة التثقيل على الناس ، وتتطيرهم منها ، ولكنها طويلة إلى قدر ، بالنسبة إلى قصر الخُطْبة .

وجميع خطب المصطفى المختار - ﷺ - إذا قرأناها استغرقت دقائق معدودة ، وصدقت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - حيث قالت : ما كان النبي - ﷺ - يسرد الكلام كسردكم وإنما كان يقول الفصل الذي يحفظه مَنْ سمعه ، وقد أوتي رسول الله - ﷺ - جوامع الكلم ، أي كان يقول في المعاني الكبار الجمل القصار .

والله - عز وجل - يقول في سورة الأنعام : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾[1] . ويقول - تبارك وتعالى - في خاتمة الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[2] .

(1) الأنعام : 125 .

(2) الأحزاب : 70 ، 71 .

www.ibtesamh.com/vb

إن نماذج شرسة من اللغو ضيعت أعمارنا وأموالنا ، وصدتنا عن سواء السبيل ، ومنها :

1 - أن تجد شابًّا واقفًا على باب دكان (سوبر ماركت وغيره) يتحدث إلى الواقف فيه ، وهو شاب مثله ، في الكرة والمباريات ، والأفلام ، والمسلسلات ، والنساء ، والبنات ، والشات والغرض الأساسي منه ، أي من وقوفه أن يشتري شيئًا تافهًا ، كان بوسعه أن يشتريه في أقل من دقيقة والشاب الذي يتحدث لا يتحدث في وقار ، وإنما يتحدث وهو يتهند ، ويحرك قدميه ، ويضرب الأرض ، وقد يجري وراء طفل ، وقد يكون سببًا في عزوف رجال محترمين ونساء فضليات عن هذا المحل ، فتكسد تجارة ذلك الشاب المستأجر أو صاحب المحل (ابن صاحبه) ، وقد يكون الشاب الواقف بالباب لا يريد شراء شيء أصلًا ، إنما جاء من أجل الحديث ، وما هذا بحديث .

2 - ناهيك بأحاديث الهواتف المحمولة والشات ، التي معظمها كلام في كلام ، كله يبث في النفوس السوية الأسقام فما يشفي غليلًا ، وما يأسو جراحًا ، وما يضيف فائدة . وقد ترى في هذه المهاتفات حديث طبيخ ، وغسيل ، ومشاهدة لأفلام ومسلسلات ، وغير ذلك ، وقد تكون المرأة عند أمها اليوم ، وتهاتفها غدًا ، كأنها لم ترها منذ عام . كل ذلك من قبيل اللغو ، والفساد لا يشعر كثير من الناس بأنه فساد .

3 - وهذا صديق يزور صديقه في وقت غير مناسب لمجرد أنه - كما قال - رأى نفسه يمر بجانبه ، فقال في نفسه : أمر على صديقي ، ويا ليته إذ جاءه خفف زيارته ، واكتفى بالسلام عليه ، والجلوس إليه ، وتبادلا قولًا نافعًا ، وإنما قضى وقتًا طويلًا ، في ثرثرة ، وكلام غير مفيد .

4 - وهذا صديق آخر على النقيض من حيث الشكل ، جاء في موعد معين ، واستأذن ، من أجل حاجة معينة ، ورغبة محددة ، لكنه مع الأسف نسيها ، لما

www.ibtesamh.com/vb

طال الكلام في موضوعات شتى ، من هنا ، وهناك ، وقد قام لينصرف وهو يقول : لقد أنساني حلو حديثك الغرض الذي جئتك من أجله .

5 - وعلى مستوى القمم والرؤساء ، لقد ولدنا ونحن نسمع هذه العبارة : التقى فلان وفلان ، وتباحثا موضوعات كذا وأمورًا تهم البلدين ، وصالح الشعبين ، عشرات السنين وما زال البحث جاريا في القضايا القومية والعربية والوطنية وصالح الشعوب ، وما حلت قضية واحدة من هذه القضايا وما تحققت مصلحة واحدة لشعب من الشعبين ففيم كان الحديث الطويل على الغداء ، والعشاء ، ومع الناس ، وفي جلسات وصفت بأنها مغلقة ، وغير ذلك .

لقد قال علماء اللغة : إن البلاغة الإيجاز ، ونحن لم نعرف الإيجاز على وجهه العلمي ، وفروعه المعروفة ، إنما عرفناه عند الغضب ، بالرد بكلمة أو بكلمتين ، أو بهزة رأس ، أو بزفرة أسى ، فإذا ذهب الغضب ذهب معه هذا الإيجاز الذي هو مخل ، وحل محله الإطناب الذي هو أيضًا مخل من حيث إضاعته الوقت فيما لا يفيد ، ويتبع إضاعة الوقت فيما لا يفيد إضاعة المال كذلك .

ثلاث شهوات محرمة :

وفي الصحيح الذي رواه البخاري نجد ثلاث شهوات محرمة ، حيث قال رسول الله - ﷺ - إن الله كره لكم كثرة السؤال ، وإضاعة المال ، وقيل وقال .

وكثرة السؤال فيما يفيد وينفع من أجل التعلم فهذا لا بأس به ، أما كثرة السؤال فيما لا طائل من ورائه ، أو بهدف إغاظة العالم ، وخنقه ، ومضايقته فهي التي كرهها الله - عز وجل - .

وفي الناس الكثير من أصحاب تلك الشهوة ، يسألك أسئلة تضايقك ، ماذا فعلت ، وكيف ، وكم دفعت ، ومن كان معك ، ومتى نمت ؟ أليس فلان عديلك ؟

www.ibtesamh.com/vb

سمعت بهذا ، ولم أصدق ، فقلت أسألك ، وبالمناسبة سمعت أنك سوف تغير نشاطك ، فهل هذا صحيح ؟ ، عندي لك مشروع .. وهكذا .

وبحكم انشغالي بالدعوة ، تأتيني أسئلة كثيرة من تلك الأسئلة المكروهة البغيضة ، وهي أقسام يمكن أنْ أقسمها إلى ما يأتي :

1 - قسم لا فائدة منه ، كسؤال بعض الناس عن اسم أم موسى - عليه السلام - وامرأة العزيز !

2 - وقسم لا فائدة منه ، كسؤال بعضهم بهدف الثرثرة وهذا هو الفرق بينه وبين القسم الأول ، أي يجعل السؤال ، أي سؤال مقدمة للثرثرة ، لكن السائل لا يحتاج إلى جواب عن سؤاله .

3 - وقسم أشبه ما يكون بأضغاث الأحلام ، سؤال في الفقه يدخل في سؤال في العقيدة ، وثالث في التاريخ والسير ، وبين ذلك قصة منام ، وموقف من الحياة ، أوراق معجون بعضها في بعض .

4 - وقسم هدفه المقارنة بين ما يكون من جوابي وما كان من جواب غيري ، والغالب في هذا القسم أن يقف السائل على اضطراب وخلاف ، مع أنه قد يسألني سؤالًا وسأل غيري سؤالًا آخر فلابد أن يختلف الطريق والجواب .

5 - وقسم هو عين شهوة الكلام ، يحكي لي قصته طويلة من أجل يمين طلاق ، ولو قال قلت لها «أنت طالق» أو «علي الطلاق» ، أو «إن خرجت فأنت طالق» ، أو غير ذلك كفاني وكفاه ، وإن احتجت إلى شيء ، سألته من أجل الاستبانة ، وقصد الجواب الصحيح ، لكنه يحكي لي قصة زواجه التي بدأت من ثلاثين سنة ، وكأنه خطب المرأة بالأمس ، يحكي ما كان من أهلها عند الاتفاق ، وعند كتابة قائمة المنقولات ، وغير ذلك .

www.ibtesamh.com/vb

وأما إضاعة المال فحدث ولا حرج ، فمن الناس من يفخر بأنه لا يدخر شيئًا في حياته وأنه ما حرم نفسه من شيء قط ، يقول لك : صحيح أنني لم أبن عمارة ، ولم أملك سيارة ، ولم أشتر أرضًا حتى في «ابن بيتك» ، ولكني أكلت أجمل الطعام ، وشربت ألذ الشراب ، ولبست أغلى الثياب ويا ليته كان قد تخلص من تلك الشهوة المكروهة ، وبنى العمارة واشترى السيارة ، وادخر للنوائب شيئًا ؛ فقد كان - ﷺ - يدخر للنوائب ، وهو أغنى الناس .

وقد قال الله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[1] .

وأما قيل وقال فهو من شهوات كثير من الناس ، وليس كل ما يسمع يقال ، وقيل وقال معنى جامع لكل حديث مرسل بلا سند ، ولن تقوم الحياة على قيل وقال ، وإنما تقام على قول سديد ، منسوب إلى قائل يعول عليه ، ويعمل بمقتضاه ، وأما الثرثرة فشيء آخر بغيض ، لا عدل فيه ولا خير من ورائه ، والثرثار أبعد ما يكون عن النبي - ﷺ - وكذلك المتفيهق ، الذي يملأ فمه بالكلام ، يخالف سجيته وحدود النطق بحروفه ، وقد قال عثمان - رضي الله عنه - إن الناس في حاجة إلى أمير فعّال ، لا إلى أمير قوّال .

وذكر ابن عبد البر - رحمه الله - في موسوعته التمهيد قول العلماء من قديم : «إن كان العبد يعلم أن قوله من عمله قلّ قوله ، وكثر عمله» .

شهوة الغيبة والنميمة

وحدُّ الغيبة أن تذكر أخاك بشيء ، لا تستطيع أن تذكره في وجوده ، ومثل الغيبة ، النميمة ، والفرق بينهما أن النمام يمشي من أجلها ، ونشرها ، والإيقاع بين

(1) الإسراء : 29 .

www.ibtesamh.com/vb

الناس بها ، ولذا قال الله - تعالى - : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾[1] .

ومعروف في اللغة أن ﴿ مَّشَّآءٍ ﴾ مبالغة من المشي ، وهذا يدل عندي على أن ذلك من الشهوة ، التي تدفع صاحبها إلى كثرة المشي ، كالذي يشتهي شيئًا أيَّ شيء ، لا يشبع منه أبدًا ، ولا يزهد فيه أبدًا ، وإنما يغترف منها اغترافًا ، وينهل منها منهلًا دائمًا ، يتزود به ، وهو لا يدري أن ذلك من قبيل الماء الذي لا يروي .

ولب النميمة وغايتها تخبيب الناس ، أي إفساد العلاقة الطيبة التي بينهم ، وفي الصحيح الذي رواه البخاري وغيره يقول - ﷺ - : «ليس منا مَنْ خبب امرأة على زوجها ، أو عبدًا على سيده» . أي ليس من المؤمنين المتصفين بكامل صفات الإيمان ذلك الذي يفسد العلاقة بين زوجين متحابين يقول للزوجة التي تحسن عشرة زوجها وتحبه ، وترى أنها عنده غالية :

إن فيه كذا وكذا ، وأنت لو كنت مع فلان لرفع قدرك ، وأعلى من شأنك ، وألبسك الحرير وحلاك بالذهب والفضة ، وأتاك بالخير كله حتى يزرع في قلبها ، أو تزرع ، شيئًا سرعان ما يتحول إلى بغض ، ومن ثم تتغير المعاملة ، ويتغير السلوك ويسوء الأمر منقلبًا .

وكذلك يكون بين رب المال وعماله ، رأيت رجلًا يسأل عاملًا :

- ماذا يعطيك فلان ؟

- فقال : خمسمائة جنيه شهريًّا .

- قال : فقط ؟!

- قال : والله ليس غيرها .

---

(1) القلم : 10 ، 11 .

www.ibtesamh.com/vb

- فقال : والله ، هذا حرام ، إن فلانًا - يقصد رجلًا آخر يعطي الولد الذي يصنع له الشاي فقط ضعف هذا المبلغ وأنت تعمل عملًا شاقًّا مرهقًا ، من الساعة التاسعة ، فقاطعه قائلًا :

- من السابعة والنصف ، والله !

- قال : ومن الساعة السابعة والنصف ، حرام ، حرام ، حرام إن مثلك يجب ألا يقل راتبه عن ألفين ، إن فلانًا هذا الذي تعمل عنده يأكل أموال الناس بالباطل والعياذ بالله .

- قلت له : كان عليك أن تقول هذا لرب المال والعمل ، لا للعامل الذي يمكن أن يتصور بالفعل أنه مظلوم ، ويمكن أن يترك العمل بالكلية ، ولا يجد عملًا ، حتى ولو صنع الشاي الذي أشرت إليه ، ويمكن أن يصل عمله متأخرًا ، أو أن يعمل ولكن دون إتقان ، ألا ترى أن المثل السائد الذي يقول : «على قد فلوسهم» أدى إلى شيوع روح الإهمال في الأعمال ، وعدم الإتقان فيها بحجة أن ما يدفع من الأجر قليل ، لا يستحق إجادة ولا إتقانًا .

وقد رأيت كثيرًا من الشباب يحفظون عن الوظيفة كل شيء إلّا العمل وإتقانه ، والتفاني فيه ، فهم يعرفون الراتب ، والزيادة التي تلحق به كل عام ، ويرون أن هناك علاجًا ، وأن هناك شققا تابعة لأعمالهم من أجل مصايف الموظفين ، وما يحصل عليه الموظف من امتيازات ، وإجازات ، ونفحات ، وغيرها ، ولا يدري شيئًا عن عمله ، وما يقتضيه من إخلاص فيه وإتقان فالإخلاص في العمل دين ، والإتقان فيه سر قبوله ، ففي الحديث : «**إن الله لا يقبل من العمل إلّا المتقن**» وفيه : «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**» .

ومثل هذا المثل السائد يؤدي إلى الإفساد ، والله - عز وجل - يقول : ﴿ **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا** ﴾[1] .

(1) الأعراف : 56 .

www.ibtesamh.com/vb

ويقول تبارك اسمه : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[1] .

ولا شك أن في الأمة مَنْ يقوم بالإصلاح بين الناس ، لكن لا تنكر أن فيهم من يقوم كذلك بالإفساد ، نعم ، هناك مَنْ يشتهي الإيقاع بين الناس ، طبعًا المتحابين منهم ، المتصافين بلا كدر والإيقاع بين الناس شهوة الذين في قلوبهم مرض ، الذين لا ينامون على قرة أعين ، ولا يهنأ لهم طعام ، ولا شراب ولا إقامة ولا يطيب لهم سفر أو ترحال إلّا إذا وجدوا الأحبة على شقاق ، ونفور ، وخصام ، ولا تطيب لهم حياة إلّا على نار الفتن ، التي يثيرونها يبتغون من ورائها مظاهرها التي هي أشد من القتل ، وأكبر منه ، كما جاء في الآيتين من سورة البقرة : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾[2] و﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾[3] .

وهناك من إذا سمع مجرد سماع بأن فلانًا يحب فلانًا شعر بنار في قلبه ، وأحس بحرقة في صدره ؛ فهو يشتهي البغض لا الحب ، والفراق على اللقاء ، والخصومة على التصالح .

وبعض الناس يحب ذلك ؛ لأنه ينتفع من ورائه ، وبعضهم يحب ذلك لذاته ، بل إنه على استعداد أن يخسر حتى يرى البغض محققًا ، والتنافر موجودًا ، والسواد حالًّا محل البياض ، والعكارة حالة محل الصفو ، والدمار محل العمار ، والخسارة محل الربح ، فكيف يتحقق له معنى الإيمان ؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» .

---

(1) النساء : 114 .

(2) البقرة : 191 .

(3) البقرة : 217 .

www.ibtesamh.com/vb

وهو بلا شك يحب لنفسه نقيض ما يحبه لغيره ، من ربح ونجاح وتوفيق ، وعيش بلا كدر ، ومودة بلا انقطاع ورحمة بلا عذاب .

لكنها تلك الشهوة البغيضة المحرمة ، وصاحبها يلهث وراءها ، ويتبعها ، ويكره مَنْ ينهاه ، عنها ، ويذمها ، وقد قال أحد هؤلاء المحبين لتلك الشهوة : إنه لا يقصد إغضاب الله - تعالى - ولا مخالفة دينه ، وأحكام شريعته ، وإنما «يتسلى» .

كالذي يلعب النرد وغيره ، ويقول : أتسلى ، والتسلي لا يكون بمحرم منهي عنه إلّا عند المنافقين الذين قالوا : إنما كنا نخوض ونلعب ؛ فرد الله - تعالى - عليهم من عليائه : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[1] . وفي الدين سعة ، وفيه تسلية مشروعة ، ولكن الناس عنها غافلون ، وهي في حاجة إلى مبدعين بحق ، يمتعون أنفسهم وأهليهم بما هو حلال ، وقد ثبت أن النبي - عليه الصلاة والسلام - كان يمزح ، ولا يقول إلَّا حقًّا ، فمن ذا الذي يحاكيه ، ويتأسى به ، فيمزح ويضحك ، ويضحك الناس ، ولا يقول إلّا حقًّا ، لقد عهد الناس في الكوميديا أن الضحك إنما يكون بالمحرمات من السخرية ، والاستهزاء بخلق الله ، وتقديم ما يسمى بالكاريكاتير من رجل سمين جدًّا ، أو امرأة سمينة جدًّا ، أو رجل قصير جدًّا ، أو امرأة قصيرة جدًّا ، ويصاغ الحوار على أساس من السخرية منهما ويضحك الناس على ذلك .

ولكم ناديت بأن ذلك ليس من قبيل الإضحاك المشروع ، وأننا في حاجة إلى عبقري ، يقدم لممثلي الكوميديا نماذج راقية من الإضحاك الذي خير ما يقال فيه ما ثبت عنه - ﷺ - من أنه كان يمزح ولا يقول إلّا حقًّا ، قال لامرأة إن زوجها به بياض في عينه فأخذت تنظر في عيني زوجها ، لترى هذا البياض ، فقال لها زوجها : وهل تخلو عين من بياض وسواد ؟!

(1) التوبة : 65 .

www.ibtesamh.com/vb

وقال لامرأة عجوز : لن يدخل الجنة عجوز ، فلما همت بالبكاء قال لها : سيعيدك الله شبابا ، وقال لرجل عجوز قبيل بدر الكبرى وقد سألهم : ممن أنتم ؟ : نحن قوم من ماء ، فقال الرجل : من ماء العراق !

وهذا من قبيل التورية ، أن يطلق اللفظ وله معنيان ، قريب وبعيد ، والمراد هو المعنى البعيد ، لكن المعنى القريب هو الذي يتبادر إلى الأذهان ، ومن ثم كان على من يضحك أن يتبين ذلك ، فهو يضحك ؛ لأن المعنى الذي يفهمه لم يرد على خاطر مثل الذي قال : مِن ماء العراق !

والنبي - ﷺ - ما كذب ، فالله - تعالى - خلق كل دابة من ماء ؛ وهكذا تبدو الصفات الواجبة في ذلك العبقري الذي أدعوه ، وأدعو إلى البحث عنه كي يكتب من آيات عبقريته ما يضحك الناس دون تعرض للحرام ، ودون إسفاف فلابد أن يكون على علم بفقه الأساليب ، وبالحلال والحرام ، وأن يكون موهوبًا في الكتابة والتأليف ، فكما قلت : في هذا الدين اتساع .

وقد ثبت أن النبي - ﷺ - كان يجلس مع صحابته - رضوان الله عليهم - بعد صلاة الفجر ، يتذكرون ما كان أيام الجاهلية ، ويضحكون .

نعم يضحكون من رجل كان يعبد شاة ، فأكلها الذئب ، فاتخذ شاة غيرها لتكون إلهًا له ، فضحك الناس ، وهكذا كانوا يضحكون ، ويمزحون .

شهوة لهو الحديث

يقول الله - تعالى - : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1] .

(1) لقمان : 6 .

www.ibtesamh.com/vb

صحيح أنها نزلت فيمن ظن أن الكتاب الكريم من باب الأحاديث التي تعجب الناس ، ووصفه بأنه أساطير الأولين فراح واشترى كتبا في الأساطير ، والقصص ليلهي بها الناس عن سماع القرآن الكريم ، ولم يكن له ما أراد ؛ فهو بمثابة من يريد أن يطفئ نور الله - تعالى - بفمه ، ولكن الله متم نوره ، ولو كره المشركون .

لكن هناك من يتشبه بهذا ، بأن لديه شهوة أي شهوة في هذا اللهو من الأحاديث ، فحديثه لهو ، وهو يحب سماع اللهو ، يضحكه ويسلبه ، ويسبيه ويغرق فيه ، وإذا سمع جدًّا نام ، وغلبه النعاس .

وهناك مسائل دقيقة في تلك الشهوة وهي مهمة حتى لا تختلط على القارئ الأمور ، أهمها أن هناك من القصص والروايات والأشعار ما يرفع السآمة والملل ، ويحقق الأمل من العبرة والموعظة ، وهذا لا بأس به ، فقد كان للشعر دور مهم في نشر الدعوة الإسلامية والزود عنها وقد كتبت فصلًا كاملًا في كتابي (الوسطية في الدين والإبداع) عنوانه : الأدب الإنساني أدب إسلامي ، أعني أن كل نص من النصوص الأدبية يدعو إلى فضيلة ، هو في الحقيقة أدب إسلامي ؛ لأن الإسلام دعوة إلى الفضيلة والمكارم ، وحسن الخلق والسلوك ؛ والعمل الجاد الذي ينهض بحركة الحياة ، وترفيهها حتى وإن كان صاحبه غير مسلم ؛ والدليل على ذلك قول النبي - ﷺ - أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَاخَلا اللهَ بَاطِلُ وكُـلُّ نَعِيـمٍ لَا مَحَالَـةَ زَائِــلُ

وكان لبيد يومئذ مشركًا ، رواه البخاري في صحيحه كما روى عنه - ﷺ - : «**أسلم شعر أمية بن أبي الصلت وكفر قلبه**» ومعنى ذلك أنّ القول قد يكون مسلمًا ، والقائل كافرًا ونحن المسلمين نقر إسلام القول ، ونتمثل به ، ونقبله وفي هذا من التحضر ، والرقي ما فيه ، وقد غفل عنه كثير من الناس الذين يقبلون بالجملة ، ويردون بالجملة .

www.ibtesamh.com/vb

وفي ذلك ظلم بيِّن ، لا يقبله هذا الدين الحنيف ، الذي لا يأخذ شيئًا بذنب شيء ، أي إنه لا يأخذ القول بذنب القائل .

والمسألة الثانية : أن هناك قولًا يستطاب لدفع الوحشة ، والإسلام ليس جامدًا ، ولا يدعو إلى جمود ، وقد كان النبي - ﷺ - يستنشد أصحابه في السفر ومنهم عبد الله بن رواحة ، وفيه قال عليه الصلاة والسلام ، وروى ابن عبد البر في الاستيعاب :

«إِنَّ أَخًا لَكُمْ لَا يَقُولُ الرَّفَثَ» .

وقد قال الناس حول رسول الله - ﷺ - :

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوا عَلَيْنَا ... وَإِنْ يُرِيدُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

وكان يعجبه ذلك - ﷺ - ويكرر وراءهم قائلًا : أبينا .. أبينا .. أبينا .

ومن ذلك الأغاني الذي يسأل عنها كثير من الناس والتي خير ما قيل فيها : إنها كلام ، حلاله حلال ، وحرامه حرام وأنا أزيد على ذلك قائلًا :

قل لي ماذا تقول ، وكيف تقول ، وأين تقول ، أقل لك الحكم ، بمعنى إذا كان الكلام كما قلت من وادي الإنسانية السامية ، أي لا فجور فيه ، ولا فحش ، ولا بذاءة ، ولا وصف لأنثى من الأوصاف التي تثير الغريزة ، ولا مجون ، ويقال بطريقة (بألحان) لا تخرج القائل أو السامع عن المروءة ولا تشغله عن ذكر الله - عز وجل - وكان ذلك في موضع من مواضع العمل كما أنشد الصحابة - رضوان الله عليهم- حول رسول الله - ﷺ - أو في مناسبة عرس ، يضرب عليه بالدفوف ، أو في مناسبة قومية أو وطنية ، أو في سفر طويل ، أو في وحدة أحس فيها المرء بالوحشة ، فلا إشكال في ذلك .

www.ibtesamh.com/vb

أما ما نسمعه من إثارة ، وسوء تأليف ، ولهو حديث ، ودعوة إلى المجون ، وغيره ، بطريقة تأباها النفوس السوية ، والطباع السليمة فلا شك أنه من لهو الحديث ، الذي ضرره أقرب من نفعه وأكثر .

شهوة الكبر

ومن الشهوات المحرمة شهوة الكبر ، قال الله - تعالى - : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[1] .

وفي الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام : «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ» .

ومن لطيف ما يُرْوَى أن رجلًا من المتكبرين شوهد يطوف بالكعبة المشرفة ، وحوله خدم وحشم يمنعون الناس عنه ، فرآه رجل بعد عام يجلس على جسر بغداد ، يمد يده للناس ، هذا يعطيه وهذا ينظر إليه ، ولا يعطيه ، فدنا منه ، وقال : ألم أرك تطوف بالبيت العتيق (مكة) وحولك خدم وحشم يمنعون الناس عنك ؟

قال : نعم ، لقد تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه ، فأذلني الله في موضع يرتفع الناس فيه .

وفرعون علا في الأرض ، وتكبر ، وقال أنا ربكم الأعلى ، فأغرقه الله - عز وجل - وجنوده ونجاه ببدنه ليكون لمن خلفه آية .

هذا في الدنيا ، وفي الآخرة لا حظَّ للمتكبرين فيها ، قال الله عز وجل : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] .

وقد يدفع المرءَ إلى التكبر مالٌ ، وهو لا يدوم ، وجاه وسلطان ، ومنصب ، وكرسي ، ونسب رفيع وكل ذلك أيضًا لا يدوم ، وقد قال الله - عز وجل - :

---

(1) لقمان : 18 .

(2) القصص : 83 .

www.ibtesamh.com/vb

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[1] .

أي إن الذي يدفعه إلى التكبر شيء من هذا لا يجوز له أن يتكبر ، فما عسى أن تقول في المتكبر بطبعه الفاسد ، ولا مال عنده ، ولا جاه ولا سلطان ولا كرسي ، ولا غيره ، فهذا أضل ، وذلك من باب الأشد في التحريم ، أي إذا كان تكبر الغني حراما فتكبر الفقير أشد حرمة ، كما ورد في زنا الشاب أنه حرام ، وزنا الشيخ أشد ، والله - عز وجل - يبغض الشاب الزاني ، وبغضه للشيخ الزاني أشد ، والزنا حرام وهو بحليلة الجار أشد حرمة ، كما ورد في الحديث الشريف ، حيث جاء رجل إلى النبي - ﷺ - يسأله عن أي الذنب أعظم عند الله - تعالى - ؟

فقال عليه الصلاة والسلام - : أن تشرك بالله - تعالى - وقد خلقك ؛ فقال : ثم أي ؟

قال : أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك .

قال : ثم أي ؟

قال : أنْ تزني بحليلة جارك .

هكذا تتفاوت درجة التحريم ، ومن ذلك تكبر مَنْ لا مسوّغ لكبر عنده من مال وغيره ، وتراه إزاء تكبره يحمل نفسه ما لا تتحمل من نفقات على المظهر ، والمأكل والمشرب ، وفي حديث أنس - رضي الله عنه - يقول - ﷺ - : «إن الله أوحى إليّ أنْ تواضعوا» .

---

(1) لقمان : 34 .

www.ibtesamh.com/vb

شهوة التعويق

يقول الله - عز وجل - : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] .

هناك أصحاب شهوة التعويق - كفانا الله شرهم - الذين يصنعون العراقيل في كل طريق ، ولا يرون شيئًا سهلًا ميسرًا ، إن قلت لهم : اليمين قالوا : خطر ، وإن قلت لهم الشمال قالوا : خطر ، وإن قلت لهم : أتزوج قالوا : اصرف نظر ، وإن قلت لهم : أعيش عزبا قالوا : تقتل نفسك .

وإن قلت لهم أسافر ذموا لك السفر ، وأتوك بقصص الذين سافروا ، وفشلوا ، أو سافروا ورجعوا في توابيت الموتى جثثًا هامدة ، وإن قلت لهم : أقيم فلا أسافر ! قالوا لك : ولم تكون كالماء الراكد ؟

وقد تكون مررت بهؤلاء في حياتك ، وتكاد تقسم الآن بوكيد الأيمان أن فلانا ممن عرفت منهم ، وفلانا كذلك منهم ، إلى درجة أن فلانا هذا أو فلانا ذاك يرى في كل شيء عقبة ، ومصيبة ، وهناك من المعوقين مَنْ هو متخصص في الإعاقة التي تحول دون بلوغك خيرًا في الدنيا والآخرة ، كهؤلاء الذين كانوا يعوقون المجاهدين من المسلمين ، وكان من قولهم : لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا ، وكان من قولهم : هلم إلينا ، وقد قال الله - عز وجل - : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[2] .

لكن أن يكون ضعيفًا معذورًا ويحبط من همم القادرين من المجاهدين ، ويخيفهم ، ويثير فيهم الرعب والفزع ، وأنهم إنْ جاهدوا مع رسول الله - ﷺ - فقد ألقوا

(1) الأحزاب : 18 .

(2) التوبة : 91 .

www.ibtesamh.com/vb

بأيديهم إلى التهلكة ، وعرضوا أنفسهم للموت والهلاك والدمار ، وغير ذلك من المآسي والمحن ، حتى يحبطوهم ، ويصدوهم عن الجهاد والكفاح لرفع راية الدين ، فهؤلاء عليهم الإثم الكبير .

وما أكثر الذين إذا حدثتهم عن خير تود فعله ، قالوا لك : إنه لا خير فيه ، ولا مصلحة من ورائه يصدونك عن خير محقق بلا جدال ، ويخيفونك حتى تحجم عنه ، وعندئذ يفرحون ، وما أولئك بالمؤمنين وقد روي أن عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - أعرب عما في نفسه لأمه أسماء بنت الصديق - رضي الله عنهما - من أنه يخاف أن يمثل به الأعداء بعد موته ؛ فقالت له : إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها ، وقد صارت هذه العبارة مثلًا عظيمًا ، وهي من الحكمة بمكان ، وتلك أم ، ومن شأن الأم تصور ذلك في ولدها ، وخشيتها منه قبله ، وخوفها عليه أشد من خوفه على نفسه لكنها - رضي الله عنها - لم تكن من المعوقين ، وإنما كانت من المشجعين على جهاد ولدها ، وأن يكون في صفوف المناضلين الذين ينالون من الله حسن الثواب ، ولا ثواب أحسن من ثواب المجاهدين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] .

شهوات مستحدثة

وقد ظهرت شهوات مستحدثة في زماننا ، منها :

1 - شهوة المضاربة في البورصة على غير علم وبصيرة ، وسؤال أهل الخبرة ، الأمر الذي أدى إلى ضياع المال ، وإزهاق النفوس التي تبعت ضياع الأموال .

(1) التوبة : 111 .

www.ibtesamh.com/vb

والبورصة سوق مالي خطير ، وحتى تكون حلالًا يجب أن يُضَارَبَ فيها من خلال شركة تعمل في حلال من صناعات ومأكولات ومشروبات ، ويجب أن تؤثر تلك الأموال في رأس مال الشركة هذه بحيث تتطور ، وتتحدث ، لا أن تكون مضاربة وهمية لا يُشترى من ورائها جديد ، ولا تؤدي إلى إنتاج ، وإنما لوحة أرقام ، ترتفع وتنخفض ، فهذا قمار حرام .

2 - شهوة الجلوس على المقاهي وفي الأماكن العامة وقد جاء في الحديث الشريف : «وليسعك بيتك» ؛ وذلك لأنّ البيت في حاجة إلى تواجد الرجل فيه ؛ فهو راعيه ، وقد روى البخاري في صحيحه قول النبي - ﷺ - : «كُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ..» .

ومن الناس مَنْ إن زرته في بيته قالت زوجته لولده : اذهب إلى أبيك ، إنه على القهوة الفلانية ، وقل له إن عمك فلانًا عندنا ، فمتى يرعى الرجل شئون بيته ، ومتى يؤدب ولده ، ومتى يتحدث إلى امرأته ، إلى غير ذلك من الأمور التي هي دين ، وقد سئلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - كيف كان رسول الله - ﷺ - في بيته ؟ فقالت : كان في خدمة أهله .

3 - شهوة المشاهدة للتلفاز ، ومشاهدة التلفاز ليس حرامًا بالنظر إلى ما يشاهد وإلى وقته ، الذي ينبغي ألا يلهي عن عبادة ولا يشغل عن حاجة ضرورية ، أما القعود أمامه متى كان المرء في بيته أو في مكتبه الذي يعمل به يشاهد أي شيء ؛ ويقلب في القنوات ، ويمدح هذا ، ويسب ذاك ، ناهيك بمشاهدة العري ، وما يطلق عليه فن وما هو بفن وإنما هو إسفاف ، وفساد ، ومضيعة للطاقة ، ومخاطبة للغريزة دون الفطرة ، وإثارة الشهوة ، وإضاعة للوقت ، فهذا كله من الشهوات الفاسدة .

4 - شهوة الديلفري وقد اشتهت أمم من الناس الأكل عن طريق الطلب ، وهذا لا بأس به إن كان بين الحين والحين للتغيير الذي هو مطلوب .

www.ibtesamh.com/vb

أما إذا كان منهج حياة ، بحيث تتعطل الأيدي التي تصنع الخير ، وتملأ البيت به لسكانه وضيوفه فذلك إسراف منهي عنه ، فلمن اشترينا أدوات الطهي ، ولمن أدخلنا الغاز إن كانت ربة البيت أو راعيته تشتهي الأكل من الخارج كل وجبة .

5 - شهوة الشات وكم أضلت هذه الشهوة شبابًا وشيوخًا ، وضيعت الأوقات ، وأحنت الظهور ، وجلبت زيجات فاسدة وتعارف سوء ، لا خيرِ فيه وأدى شيوعها إلى شك وريبة .

6 - شهوة الإسراف في استعمال الهواتف ، حتى الذي وقف في محله ودكانه ، تراه يضع سماعة في أذنيه ويخيل إليك أنه يحدثك ، وهو في الحقيقة يحدث شخصًا آخر ، قد يكون فتاة يحبها ، أو خطبها ، أو في طريقه إلى خطبتها ، وقد تكون والدته ، المهم أنه مشغول عنك وعن محله ، فهو يسعى إلى خرابه ، وإن ناشدته أن يبيع لك شيئًا قال لك : حاضر ، دقيقة واحدة ، ثم أخذ يضحك ، ويسخر ، ويتمايل ويترك زبائنه ، أسرف الناس في استعمال الهواتف إلى حد بغيض ، فالزوجة الشابة تعود إلى بيت زوجها من عند أمها ، وتهاتفها فور وصولها ، لا لتقول لها : قد وصلت بخير فاطمئني ، وإنما لتحدثها ، وتستعيد معها تفاصيل الزيارة ، وتذكرها بأشياء نسيتها ، إنها هي شهوة الحديث من خلال الهاتف ، ناهيك بتنزيل النغمات وكتابة الرسائل المسجوعة ، وغيرها ، وما تتكلفه من أموال باهظة ، ورد في بعض الإحصاءات أنها بالملايين .

www.ibtesamh.com/vb

من الشهوات الحرام

الطمـــع

وابتداءً أقول : إن الطمع من الشهوات التي تنازعها الحلال والحرام ، فهو حلال إن كان في الله - عز وجل - وفيما عنده من خيرات لا تنتهي ، ونعم لا تحصى ، وقد روى البخاري أن أيوب - عليه السلام - كان يغتسل ، فنزلت عليه فراشات من ذهب ، فأخذ يحثوها بثوبه ، ويجمعها : فأوحى الله - تعالى - إليه : ألم أغنك ؟

فقال : بلى يا رب ، ولكن لا غنى لي عن مزيد فضلك ، والله - سبحانه وتعالى - يقول : ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾[1] .

ويقول سبحانه : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[2] .

وحين نهانا ربنا - تعالى - عن تمني ما فضل به بعضنا على بعض ، أمرنا في الوقت نفسه أن نسأله من فضله ، قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[3] .

إنما يكون الطمع شهوة محرمة إذا كان طمعا فيما عند الناس وهو سبيل التباغض ، فمن قديم قال حكماء العرب : ازهد فيما عند الناس يحبوك ، فسبيل المحبة الزهد عما في أيدي الناس ، وسبيل البغض الطمع فيه ، فمن أراد أن يحبه الناس فليزهد فيما عندهم ، ولا يطمع فيه ، ومن أراد أن يحبه الله فليطمع فيما عند

---

(1) النساء : 32 .

(2) النساء : 113 .

(3) النساء : 32 .

www.ibtesamh.com/vb

الله ، وليسأله من فضله العظيم ، قال سليمان - عليه السلام - : ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[1] .

وقد أجاب الله - تعالى - دعاءه ، وسخر له الريح ، تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين ، يعملون له ما يشاء ، علم منطق الطير ، وقال تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[2] .

وقد قيل :

الله يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْـتَ سُؤَالَهُ وبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

وسر ذلك أن الله - تعالى - هو الغني ، والناس مهما أثروا فقراء ، ونحن نؤمن بأن الله - تعالى - لو أعطى كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكه شيئًا ، ولا يوجد في الناس مَنْ يتسع ماله لكل الناس .

ومن طريف ما يروى في ذلك أن رجلًا أراد أن يدخل على أمير المؤمنين معاوية - رضي الله عنه - فقال إنني من رحمه ، فلما بلغه ذلك نهض لمقابلته ، فلما قابله سأله عن تلك الرحم ؟ فقال : أنا رحمك من آدم ، فابتسم معاوية وأعطاه درهمًا ، فنظر إليه ، وقال له : رحمك وتعطيني درهمًا ! فقال معاوية : لو أعطيت كل إنسان سألني بالرحم التي سألتني بها درهمًا لما وجدت أنت هذا الدرهم ، وقد صدق فإن رحم المرء من آدم جميع بني آدم ، ولا يملك المرء دراهم بعدد بني آدم جميعًا ، إنما معه دراهم ودنانير لرحمه الأقربين باعتبارهم عشرة ، أو عشرين ، لكن الجموع الغفيرة مِنْ بني آدم ، والتي لا تحصى ،كيف يحصيها بدراهمه ودنانيره ، وهو عاجز من إحصائها بقلمه كتابة ، وبفمه نطقًا ، ومن ثم كان ضعف الناس ، وفقرهم سببًا في

(1) سورة ص : 35 .

(2) النمل : 17 .

www.ibtesamh.com/vb

بغض من يسألهم ، ويلح عليهم بالسؤال ويطلب ما عندهم ، وهم الفقراء ، وإن زعمنا أنهم أغنياء وهم عاجزون عن سد حاجة جميع الناس ، وإن زعمنا أنهم قادرون ، أما الله ربنا فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

الغـــش

والغش من الشهوات المحرمة ، جاء في الصحيح الذي رواه البخاري وغيره قول النبي - ﷺ - : «**مَنْ غشنا فليس منا**» ولهذا الحديث حكمة ، هي أن رسول الله - ﷺ - وضع يده في حبوب كان يبيعها رجل بالسوق ، فوجدها قد بللت ، فسأله ؛ فقال : أصابها المطر يا رسول الله ، فقال ، عليه الصلاة والسلام ، هلا أظهرتها . من غشنا فليس منا .

عدّ النبي - ﷺ - إخفاء بعض الحبوب التي أصابها المطر عن عيون الناس الراغبين في الشراء ضربًا من الغش ، وقال : «**مَن غشنا فليس منا**» ، أي فليس من الموصوفين بكامل أخلاقنا ، وعظيم شمائلنا ، فالمؤمنون الموصوفون بتلك الصفات العالية النبيلة لا يغشون ، بهذا القدر ، الذي هو إخفاء بعض الحبوب عن أعين الناظرين فضلًا عن غيره من ضروب الغش التي وصلت إلى حد ترقيع غشاء البكارة . وتزويج الفتاة على أنها بكر ، ونزع الورقة التي كتب عليها : «صنع في مصر» ووضع عبارة «صنع في اليابان» ، إلى غير ذلك من صور الغش والتدليس التي أصابت كثيرًا من الناس ، وأصابت كثيرًا من مناحي الحياة ، فالغش حتى في الدين ، والذي يمثله أولئك الذين يَتَزَيَّوْنَ بزيه ، ويلبسون ثيابه ، ويتحلون بمظاهره ، فأنت ترى الرجل قد قَصَّر ثوبه ، وأطلق لحيته وأمسك المسواك ، والمصحف ، وعلى لسانه : جزاك الله خيرًا ، وصلى الله على محمد ، والسلام عليكم ورحمة الله - تعالى - وبركاته ، وما شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله ، فإن عاملته وجدته غاشًّا في كل شيء يقسم لك بوكيد الأيمان وهو كاذب ، ويأكل مالك عيانًا بالباطل ، ولا يتقي

www.ibtesamh.com/vb

الله فيك ، ولا عهد له ولا ذمة فهل ترى ذلك إلّا غاشًّا لك ، ولدينه ، الذي لم يفهم منه إلّا الشكل ، ولم يفعل منه إلّا المظهر ، ولم يدرك منه إلّا كلمات ، مجرد كلمات ، لا يعي ما وراءها من المعاني الكبار ، التي ينصلح بها حال الفرد وحال الأمة !

ومن هؤلاء تلك الأخت التي فهمت الدين والالتزام على أنه خمار أو نقاب ، وعبوس ، وجمود وتجهم في وجه كل إنسان ، ولوم وعتاب لكل فتاة أو امرأة تضحك ، أو تحدث أجنبيًّا ، أو تشاهد فيلمًا أو مباراة ، فالويل لها من الله كما تزعم الأخت الملتزمة التي هداها الله إلى الدين الصحيح بوضع غطاء الرأس فوق رأسها ، أو وضع شيء فوق وجهها .

وهي إن تزوجت أشقت مَنْ حولها من أقارب زوجها لاسيما أمه ، وأخته ، وكم قص علينا شباب قصص زواجهم من مثلها ، وكيف وجدوها بعد الزواج شيئًا آخر مختلفا عما كان قبل الزواج ، يقول الواحد منهم : كنت أظن أن مثل هذه الأخت سوف تجعل من بيتي جنة ، ومن أسرتي أسرة مترابطة متضامنة متحابة . وكيف توفر لي كل أسباب الراحة والسعادة ، فقد تعرفت عليها في المسجد ، في رمضان ، حيث لم تكن تنقطع عن صلاة التراويح في المسجد الفلاني الكبير ، الذي يؤم الناس فيه الشيخ الفلاني الكبير الشهير ، الذي يَبكي في دعائه ، ويُبكي مَنْ خلفه من الناس ، بكينا طويلًا وكانت هي أكثر الناس بكاء . وقد قلت : إن مثل هذه الفياضة بدموعها ذات قلب مؤمن ، يدرك المعاني الكبار ، ويفهم الدين فهمًا صحيحًا ، وهي نعم الزوجة تصوَّر يا أستاذنا ، هذه الفتاة بدا لي بعد الزواج أنها لا تحفظ شيئًا من القرآن ، وأن ابنة أختي الطفلة الصغيرة التي لم تدخل المدرسة الابتدائية تحفظ أكثر منها .

فابنة أختي الطفلة تحفظ تقريبًا جزء عم وجزء تبارك وإن هي إلّا أيام وتحفظ جزء «قد سمع» أما هذه الكبيرة خريجة الجامعة فوالله لا تحفظ جزء «عم» .

www.ibtesamh.com/vb

ويسرد عليّ من المساوئ ما لا يتسع له المجال هنا ، وأظن أن الشاب مبالغ فيما يقول ؛ لأن درجة الكره عالية .

وكلما علت درجة الكره ازدادت درجة المبالغة إلى حد كبير ، وما أظن ذلك إلّا ضربا من الظلم ؛ لأن الله - تعالى - يقول : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[1] .

وقد قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا ﴾[2] . والعدل في القول من شيم المؤمنين ، والظلم في القول من شيم الكافرين ، والمنافقين ، الذين يظلمون ومن ظلمهم قولهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾[3] . ومن ظلمهم قولهم ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[4] .

وكذلك كثير من الناس الذين يشهدون الله على ما يقولون ، ويقولون : نحن صادقون ، في فلان كذا وفي فلان كذا وكذا . وليس في فلان ما قالوا ، وإن كان فيه بعض ما قالوا لكنهم يزيدون من عندياتهم الكثير ، ويضيفون من عند أنفسهم الكثير ، استجابة لداعي البغض ، الذي هو واقع ، وممكن ، وقد يعجز الإنسان عن دفعه لاسيما إذا كان الطرف الآخر مشجعًا عليه ، يزيد صاحبه فيه بغضًا بسوء سلوكه ، وفساد خلقه ، لكن الذي يستطيع الإنسان دفعه هو الظلم في القول والمبالغة فيه إلى هذا الحد ، الذي جعل رسول الله - ﷺ - يقول : «**ألا تحب أن تجعل لأخيك من الخير شيئًا ؟!**» في سياق قوله - ﷺ - : «**على كل مسلم صدقة**» .

---

(1) المائدة : 8 .

(2) الأنعام : 152 .

(3) آل عمران : 181 .

(4) المائدة : 64 .

www.ibtesamh.com/vb

قيل : فإن لم يجد ؟

قال : يعمل بيديه ، فينفع نفسه ، ويتصدق .

قيل : فإن لم يجد ؟

قال : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

قيل : فإن لم يستطع .

حتى قال عليه الصلاة والسلام : يسكت عن الشر ، فذلك له صدقة ، فقيل : فإن لم يستطع .

فقال عليه الصلاة والسلام : ألا تحب أن تجعل لأخيك من الخير شيئًا !

ومع الفارق الكبير بين هذا ، وبين المبالغة في السوء إلّا أن هناك وجه شبه ، هو الإصرار على الظلم البين الذي هو بالنسبة إلى الباغض مبالغة ، إلى درجة أنه لا يذكر حسنة واحدة في مبغوضه ، وبالنسبة إلى هذا السائل إلى درجة أنه وقد علق على لسانه : فإن لم يستطع ، فإن لم يستطع ، فإن لم يستطع ، وهكذا .

وإذا كانت المبالغة من أثر البغض ، وكان البغض من أثر الغش كان الغش سببًا في كل شر ؛ لذلك كان حرامًا ، وكان شهوة محرمة بغيضة ؛ لأن الدين دعوة إلى التآخي والتحاب . والتواد والتراحم والتعاطف بين الناس ، ففي الصحيح : «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر**» .

وهيهات أن يتحقق هذا المعنى النبيل عن طريق الغش ؛ فالغش يباعد بين الناس ، والأمانة التي هي الدين تقرب بينهم .

www.ibtesamh.com/vb

الفجور في الخصومة

وتلك شهوة من أبغض الشهوات ، وهي شهوة الفجور في الخصومة ، وهي من شيم المنافقين ، قال عليه الصلاة والسلام في سياق الحديث عن صفات المنافقين : «**وإذا خاصم فجر**» والفجور في الخصومة شهوة بغيضة محرمة ، ومعناه التمادي فيها ، والاستمرار عليها ، والفحش فيها ، وذكر جميع سيئات مَنْ نخاصم ، وكتم كل حسنة فيه ، ومن الناس مَنْ يفجر قبيل الخصومة ، تراه يذكر لك ما هو عازم عليه من فجور بعيد قليل ، من كشف سوءاتك للناس ، وتبليغ المسئولين عنك ، وعن جرائمك ، وعن قبحك ، وتوقيف حالك ، وكأن أمرك إليه لا إلى الله - عز وجل - إن رضي عنك فقد فزت في الدارين وإن لم يرض عنك فسوف تتوقف عجلة حياتك ، وسوف ينقطع عنك الماء والكهرباء ، ولن تبقى لك أو فيك بقية ، ومع الأسف هناك مَنْ يتوهم صدق ذلك ، ويخشاه ، والله أحق أن يخشاه .

وقد عرف الإسلام النبل في الخصومة لا الفجور فيها ، وذلك من عدة أوجه :

الأول : أن مدتها ثلاث ليال ، لحديث رسول الله - ﷺ - الذي رواه البخاري وغيره : «**لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، يلتقيان ، فيعرض هذا ، ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» .

ولا شك أن من الفجور التمادي في الخصومة ، وقد امتد زمانها حتى بين الإخوة الأشقاء أعوامًا . والزمن إذا طال على خصومة أورث مزيدًا من البغض ، وأورث القلوب قسوة ، ألا ترى إلى قول الله - عز وجل - في سورة الحديد : ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾[1] .

والشاهد في قوله - عز من قائل - : ﴿ **فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ .

(1) الحديد : 16 .

www.ibtesamh.com/vb

والثاني : أن الخصومة في الغالب تكون خصومة لخلق لا خصومة للذات ، أي إن المرء قد يخاصم أخاه لفساد رآه في خلقه ، فإذا تخلص منه عاد الصفاء بينهما ، وعادت المودة ؛ لأنها باقية ، تنتظر الإصلاح وهذا تفسير الحب في الله ، والبغض في الله ، فأنت تحب أخاك في الله بمعنى أن صفاته الحميدة ، وأخلاقه الطيبة مما يرضي الله - عز وجل - فأنت لذلك تحبه ، فإذا كان في خلقه انحراف عن منهج الله - عز وجل - فأنت تبغضه لهذا السبب ، حتى يخلص منه ، كما قال - ﷺ - فيمن وجدت فيه صفة من صفات المنافقين بأن كذب في الحديث ، أو خان في الأمانة ، أو أخلف في وعد ، كان فيه خصلة من خصال النفاق حتى يدعها .

بخلاف المنافق المحض ، الذي لا يدع الكذب ، ولا الخيانة ، ولا الغدر ، فهو أخو كفر ، لا يفارقه ، وهناك خلط في هذه المسألة ، فليس كل كاذب أو خائن منافقًا خالصًا ، وإنما فيه تشبه بأخلاق المنافقين ، وبوسعه أن يتخلص من تلكم الصفات ويعود إلى صفات المؤمنين الصادقين ، الذين إذا وعدوا لم يخلفوا ، وإذا خاصموا لم يفجروا ، وإنما يخاصمون في الله - عز وجل - حتى يعود مَنْ خاصموه إلى أصل دينه ، وما عليه من صفات حميدة ، وإذا كانت الخصومة في شيء مما يكون بين الناس من حدة طبع وسوء مقال ، وغلظة قلب ؛ ففي الصبر سعة ، وفي العفو أمل ألّا تمتد هذه الخصومة ، وفي المدة التي حددها رسول الله - ﷺ - فسحة لهدوء النفس التي هي بطبع الإيمان فيها هادئة مطمئنة ، وما الثورة التي تعتريها إلّا غبار سرعان ما يزول ، وسحابة عابرة لا تمطر من السوء مثل الذي نراه عند كثير من الناس .

والثالث : أن النبل في الخصومة من شيم المسلمين الكرام الذين إذا خاصموا لم ينسوا فضل مَنْ خاصموه ، ولم يجحدوا أياديه ، منهم يتذكرونه بالخير الذي فيه ، ولا يبالغون في إبراز السوء الذي بسببه كانت تلك الخصومة ، ولا يتمنون له شرًّا ولا سوءًا ، وإنما يرجون له الخير برغم الخصومة التي هي أقرب ما تكون من الجملة الاعتراضية النحوية ، التي لا محل لها منه وهي واقعة بين أمرين متلازمين ، هما في

www.ibtesamh.com/vb

الاعتبار ، وفي الضمير ، وعلى اللسان ، وإنما وقعت بينهما تحلية وتنبيهًا ، وكأنها بمثابة القرع للأسماع أن تنتبه إلى ذي شأن من الركنين ، أو إلى المخاطب ، ومثال الأول قول النبي - ﷺ - : «**إنما الأعمال بالنيات**» ومثال الثاني : - الحق - وفقك الله - يجب اتباعه . والتلازم في العلاقات الحسن لا السوء ، والتواصل لا الانقطاع ، والمودة لا الجفاوة ، والاجتماع لا التفرق ، وسرعان ما يزول الاعتراض الذي هو الخصومة عند انتهاء مدته ، أو قبيل انتهائها ، حرصًا من كليهما على أن يفوز بالخيرية : «**وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» .

وقد روي أن شيئًا مما يكون بين الناس كان قد حدث بين الحسن بن علي - وأخيه محمد بن الحنفية - رضي الله عنهما - وهما أخوان ، أبوهما علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فكتب محمد إلى أخيه بأنه لا شك أن أباهما واحد ، فلا منازع ، لكن أم الحسن تعدل ملء الأرض من أم محمد ، فهي الزهراء بنت رسول الله - ﷺ - وذكره بحديث جده «**وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**» وقال له : «**لا أحب أن أكون خيرًا منك ، فأبدأ بالسلام ، ولكني أحب أن تكون خيرًا مني ، فابدأ أنت بالسلام**» فانظر إلى سبل استرقاق القلوب ، والحرص على الصلح الذي هو الأساس في هذا الدين ، وفي خلق الأبرار الصالحين ، وقد قال الله - عز وجل - : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[2] .

والرابع : سعي الناس في الصلح بين المتخاصمين كما ترى في الآيتين السابقتين ، فإذا توفرت النية عند المتخاصمين أنفسيهما ، وتوفرت كذلك عند المحيطين بهما من

(1) النساء : 114 .

(2) النساء : 128 .

www.ibtesamh.com/vb

الحريصين على أن يصلحوا بين المتخاصمين لم تتسع هذه الخلاف ، والشقاق ، قال الله - عز وجل - : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾[1] .

وبعض الناس لديه شهوة غريبة هي حب إشاعة روح الخصومة بين الناس ، يفرحون بها ، ويحبون أن تمتد ، وأن تحترق القلوب ، وأن يحدث التجافي ، والتباعد بين الناس ، إن لم يسعوا هم بأنفسهم إلى تلك الخصومة . بل إن منهم من يبدي رغبته ظاهرًا في الإصلاح بين المتخاصمين فإذا سعى فإنما يسعى إلى امتداد الخصومة ، فهو لا ينمي خيرًا ، ولا يقول خيرًا من أجل أن يصلح بين المتخاصمين ، وإنما يهمس في أذن هذا بألّا يصالح ، ويهمس في أذن الآخر ألا يصالح ، ويقول لكل منهما بالحرف الواحد :

أنا ما كنت أعلم عن يقين أنه أساء إليك كل هذه الإساءة ، ولو كنت أعلم ما سألتك أن تصالحه ، فابق على ما أنت عليه ، ولا تصالح حتى تأخذ حقك ، وعلمه الأدب ، يقول كذلك لكل منهما حتى يبث فيهما روح التمادي في الخصومة .

وقد ذهب رجل يقال له : صديق الأسرة من أجل أن يصلح بين زوجين ، فخلا إلى الزوج واستمع إليه ، ثم قال له :

انظر يا أخي إلى فساد المرأة ، وإلى افترائها كان عليها أن تتقي الله فيك ، وأن تقبل راحتيها ظهرًا وبطنًا ، وأن تحمد الله - عز وجل - على أن وفقها إلى أن تتزوج مثلك ، وكان عليها أن تكون خادمة لك ، ولوالدتك ، ولجميع أفراد أسرتك ، فمثلها لا تحلم بظفرك ، حتى كاد الزوج يتفجر من الغيظ ، ثم جلس بعد ذلك إلى الزوجة الشابة واستمع إليها ، وقال لها بعد مبالغتها في الشكاية على عادة

(1) النساء : 35 .

www.ibtesamh.com/vb

النساء : إن مثله لا يستحق مثلك ، وما كان يحلم بظفر منك ، بل كان عليه أن يحمد الله - عز وجل - على أن وفقه إلى الزواج منك ، فأنت الحسيبة النسيبة الشريفة المثقفة الحسناء ، ثم قال لها بالحرف الواحد - مع الأسف - : والله العلي العظيم لو كنت زوجتي لرفعتك من فوق الأرض ، ولحملتك فوق رأسي ، ولكنت خادمًا لك ، تأمرين فأمتثل ، وتشيرين فأقضي حاجتك بمجرد إشارتك لكن كل شيء نصيب ، وتلك قسمة الله ، لكن مع الأسف هناك مَنْ لا يقدر النعمة التي أنعم الله بها عليه ، ولا يشكر الله عليها ، ثم ختم حديثه بتلك العبارة الشائعة «تعطي الحلق لمن لا أذن له» .

أي إنها هي الدنيا ، تعطي الحلق مَنْ لا أذن له ، وهي عنده بمثابة الحلق الذهبي الخالص أو الماسي النادر ، وزوجها بمثابة مَنْ لا أذن له ، فكيف يستقيم الحلق مع مَنْ لا أذن له ، حتى كادت الزوجة تنفجر . فهل هذا سعى في إصلاح بين زوجين أم أنه عين التخبيب «الإفساد» بينهما ؟! وقد نهى - ﷺ - عن هذا التخبيب ، كما روى البخاري في صحيحه .

وتلك - بلا شك - شهوة بغيضة ، تثير الصواعق المدمرة بين الناس ، وتزيد مسافة البعد ، والشقاق بينهم ، وليس هذا من الإسلام وإنما هو من قبيل الشهوات . وما أكثر الشهوات المدمرة ، وبسبب هذا الوصف كانت محرمة .

بخلاف شهوة الإصلاح بين الناس والتي لا نجدها إلّا عند المؤمنين الذين يدركون معنى قوله - عز وجل - : ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[1] .

(1) النساء : 114 .

www.ibtesamh.com/vb

ولن تكون هذه الشهوة ذات حل إلّا إذا خرجت من قلوب تعي أثرها ، وترجو من الله - عز وجل - ثوابها ، والله - تعالى - عنده حسن الثواب ، وذلك لأن الإصلاح بين الناس من أحب الأعمال إلى الله - عز وجل - .

شهوة الأنانية

عرف الإسلام الإيثار ، لا الأنانية ، فقال الله - تعالى - : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

وقد روى البخاري في صحيحه أن مالًا جاء رسول الله - ﷺ - فأعطاه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال عمر : يا رسول الله ، أعطه مَنْ هو أفقر مني فقال عليه الصلاة والسلام : «**يا عمر ، إن هذا المال حلوة خضرة ، إن جاءك من غير سؤال أو إشراف نفس فخذه ، يبارك لك فيه**» .

تلكم هي الفضيلة التي عرفها الدين ، وتحلى بها المتدينون ، بخلاف شهوة الأنانية ، التي قد يكون لها وجه صحيح إذا قال المرء : نعم ، أنا ، أي أنا الذي أعطي ، وأنا الذي أخدم ، وأنا الذي أقوم بكبار المسئوليات خدمة لديني ، وقومي فقد قال عليه الصلاة والسلام - أكثر من مرة :

مَنْ رجل يفعل كذا ؟ فكان الجواب : **أنا يا رسول الله** . قال عليه الصلاة والسلام يوم أحد : **مَنْ رجل ينظر لي سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟** فقال رجل من الأنصار : **أنا يا رسول الله** .

---

(1) الحشر : 9 .

www.ibtesamh.com/vb

وقال عليه الصلاة والسلام : **مَنْ رجل يذبح لنا هذه الشاة ؟ فقال ؛ رجل : أنا يا رسول الله .**

وقال عليه الصلاة والسلام : **مَنْ يضيف ضيف رسول الله ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله .**

تلك هي الأنا ، أو الأنانية المحمودة ، أما الأنانية المذمومة فهي تلك الأنانية التي تكون في الأخذ دون العطاء ، وفي الراحة لا في التعب ، وفي الحصول على المزايا والنفحات دون بذل جهد أو مشقة .

وفي حب الخير للنفس والأهل والولد دون سواهم ، وقد تسرب ذلك إلى الدعاء ، فوجدنا من الدعاء دعاء الأنانية ، الذي يدعو فيه الداعي بواسع الرزق لنفسه ، وبالنبوغ والنجاح لولده ، وبأن ييسر له صالح الأزواج لبناته وأولاده ، ومعروف في الإسلام أن الدعاء من ركائزه أن يكون بلفظ الجماعة .

ألا ترى إلى قول الله - تعالى - في خاتمة سورة البقرة : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] .

وإلى قوله - عز من قائل - في آيات آل عمران : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا

(1) البقرة : 286 .

www.ibtesamh.com/vb

بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ... ﴾[1] .

شهوة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا

ثلاث نتائج مترتبة على إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا :

1 - الزهد فيهم ، والعزوف عنهم ، في حين أنهم مظلومون وأنّ إنتاجهم جيد ، وسمعتهم في الأصل طيبة .

2 - وظلم الأبرياء الذين أُخِذوا بذنب غيرهم .

3 - أن غضب الله على مَنْ أحب تلك الشهوة عظيم قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] .

والجمع بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة مما يؤكد غضب الله العظيم ، فقل : إنما الدنيا بخير ، وفي الناس صلاح ، وإن كنت لابد قائلًا فقل : الناس ليسوا معصومين ، وكل بني آدم خطَّاء ، وخير الخطائين التوابون ، وقد سئلت أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - عن حادثة الإفك ؛ فقالت : أصون لساني . وسئل الإمام الشافعي - رحمه الله - عن الفتنة الكبرى فقال : «عصم الله منها

(1) آل عمران : 190 - 195 .

(2) النور : 19 .

www.ibtesamh.com/vb

سيوفنا فلنعصم منها ألسنتنا» فهنيئًا لمن عصم لسانه من الفتن ، ولم يخض مع الخائضين ، قال تعالى في جواب أهل النار الذين سئلوا : ما سكلكم في سقر ، فأجابوا : ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾[1] .

وكثير من الناس لديه شهوة الخوض مع الخائضين بدون علم ، هو يهوى أن يمزق الأعراض مع الممزقين ، ويلقي بدلوه في الدلاء الآثمة التي تنزل إلى آبار الرذيلة والقبح ؛ لتغترف من المنكرات ما يبلي الحياة ، بشراب السوء الذي يجعل منها مستنقعًا بغيضًا غير مستساغ ، الأمر الذي يجعلك لا ترى في أحد خيرًا .

الحسد

والحسد من الشهوات الباطنة ؛ لأنه من أعمال القلوب السيئة وهو تمني زوال النعمة ، إما بانتقالها إلى الحاسد نفسه ، وإما بانتقالها إلى أي إنسان ، أو إلى أي داهية ، المهم أن تزول والحاسد يقطع بعضه بعضًا ؛ ولذلك قال الشاعر :

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الحَسُودِ ... فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ

فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَها ... إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

ولذا أقول : إن الحاسد يضر نفسه ، ولا يضر المحسود وقد قال الله - عز وجل - في سورة النساء : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[2] .

أي برغم حسد الحاسدين آتى الله - عز وجل - آل إبراهيم الكتاب والملك والحكمة ، وآتاهم ملكا عظيمًا .

---

(1) المدثر : 43 - 47 .

(2) النساء : 54 .

www.ibtesamh.com/vb

وشهوة الحسد من الشهوات المحرمة ، قال - ﷺ - : «**ولا تحاسدوا**» أي لا يحسد بعضكم بعضًا على نعمة أنعم الله - تعالى - بها عليه .

وقد قيل من قديم للحاسد :

أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ   أَسَـأْتَ عَلَى الله فـي حُكْمِـهِ

لأَنَّـكَ لَـمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ

فالحاسد غير راضٍ عن الله - عز وجل - في حكمه ؛ لأنه لم يرض بما قسم من رزق ، ووهب من نعم ، ولو كان راضيًا لما حسد ، وتمنى زوالها .

ومعظم الذين يتحدثون عن الحسد يتوقفون عند الحسد المادي ، والحق أن الحسد كما يكون في تمني زوال النعم المادية يكون كذلك في تمني زوال النعم المعنوية وأعلاها الإيمان ، ألا ترى إلى قول الله - تعالى - : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[1] .

فالذين كفروا من أهل الكتاب يودون أن يكفر المؤمنون حسدًا من عند أنفسهم . وكذلك يتمنى مَنْ لا يجيد الخطابة زوال تلك النعمة ، حتى يكونا سواء . وكذلك يتمنى مَنْ هو في شقاق أن يكون المتصافون مثله على شقاق .

ويتمنى الشقي أن يكون السعيد شقيًّا مثله ويتمنى الساخط أن يكون الراضي ساخطا مثله ، وهكذا يكون الحسد في المعنوي من النعم كما يكون في المادي منها .

وخير علاج للحاسد أن يتفكر فيما أنعم الله به عليه من نعم : فإنه منها غير محروم .

---

(1) البقرة : 109 .

www.ibtesamh.com/vb

التباغض

والتباغض : تفاعل ، من المباغضة ، أي أن يبغضك وتبغضه ، شهوة من الشهوات الباطنة ؛ لأنها من أعمال القلوب ، وقد نهى الشرع عنها ، قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1] . وفي الحديث الشريف : «**ولا تباغضوا**» أي لا يبغض بعضكم بعضًا ، وفي محكم التنزيل ينزل الله - عز وجل - : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾[2] . وفي سورة المائدة أيضًا يقول - عز وجل - : ﴿ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[3] .

ونلحظ من هاتين الآيتين أن الشنآن لا يكون إلّا لأعداء الحق والدين ، أما أن يكون بين الإخوة فهذا غريب ، لكنه - مع الأسف - واقع ، يحدث بسبب الغيرة ، والحسد ، وانتشار روح السواد بين الناس ، وإشاعتها على مستوى الإعلام ، والثقافة الخاطئة أشد خطرًا على الأمة من القتال بالسيف والدبابات ، وغيرهما من وسائل القتال ، وقد شاع بين الناس أن بعضنا عدو لبعض ، وأن أحدًا لا يحب الخير لأحد .

اختفاء بعض الشهوات

اختفت شهوات معنوية كثيرة ، منها :

1 - شهوة قتال أعداء الله :

لا أعني بذلك إراقة دمائهم ظلمًا وعدوانا ، فالله - تعالى - يقول : ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4] وإنما أعني فعل ما يغيظهم من تقدم علمي

(1) الحجرات : 10 .

(2) المائدة : 2 .

(3) المائدة : 8 .

(4) البقرة : 193 .

www.ibtesamh.com/vb

ونحوه ، ألا ترى إلى قول الله - عز وجل - : ﴿ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] .

وقد روي أنّ سعد بن معاذ - رضي الله عنه - الذي اهتز عرش الرحمن من أجل موته ، روي عنه - رضي الله عنه - أنه قال وقد أصيب بجرح قاتل حيث قطع أبهره يوم الأحزاب :

«اللهم إن كنت تعلم أنّ هذه الغزوة آخر الغزوات بين رسولك - ﷺ - وبين قريش فتوفني إليك ، وإن كنت تعلم أنه قد بقي منها شيء فأبقني ؛ فإنك سبحانك تعلم أنه لا شيء أحب إليّ من أن أقاتل الذين قاتلوا نبيك وكذبوه» . وكانت آخر غزوة ، فتوفاه الله - عز وجل - .

وقد غابت تلك العبارة التي قالها سعد بن معاذ ، عملًا ، وإن بقيت قولًا ، يتمثل في حرق أعلام الأعداء بالنار في ميادين المظاهرات ، التي تشجب وتستنكر ما تفعله إسرائيل بأهل غزة ، من سفك الدماء ، وتمثيل بأطفال ونساء ، وخنق الأبرياء أو ما تفعله أمها أمريكا بالبلاد والعباد ، أو الدانيمارك من رسوم مسيئة يزعمون أنها للمصطفى المختار ، أو المصاحف ، أو غيرها من الأعمال العدوانية ضد مسالمي البشرية ، والمسلمين على وجه الخصوص .

أما أن نعمل ونجتهد لرفع راية الدين ، أو تكون لنا خطة واضحة المعالم ، وأهمها عامل الزمن ، متى نخلص مما نحن فيه من قهر ؟ ومتى نحرر الأقصى من رجس الصهاينة ؟ ومتى يعود أهل فلسطين إلى بلادهم ليزرعوها ، ويقيموا آمنين

(1) التوبة : 120 .

www.ibtesamh.com/vb

فيها ؟ فذلك أمر دونه أهوال من شح الأنفس ، وانشغالنا بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية المتردية .

ويواكب ذلك خطاب ديني باهت شاحب يدعو إلى السلم والسلام ، والتعايش مع الأعداء ، وقبول الآخر ، وغير ذلك من دعوة الإسلام إلى التسامح والعفو ، وغير ذلك من الأمور التي هي بمثابة القشور والهوامش ، أو المتون ولكن في غير موضعها ؛ فإن هذا الخطاب موضعه عندما نكون نحن الغالبين كما قال عليه الصلاة والسلام ، لأهل مكة : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لكن أن نكون في حال ضعف وتخلف وانكسار ، ونقول : علينا أن نتسامح ، وعلينا أن نعفو ، وعلينا أن نقبل الآخر ، وغير ذلك ، فأي آخر ؟ هل يكون هناك آخر إلّا إذا كان هناك «أول» ، وهل نحن «أول» ! حتى تقول : علينا أن نقبل الآخر ! وهل ننادي بالعفو عمن ظلمنا إلّا إذا كنا قادرين على أن نفتك به ، فهل نحن قادرون على الفتك بأي أحد حتى ننادي بالعفو ، والعفو مقرون عندنا بالمقدرة ، يقولون «العفو عند المقدرة» .

لو صدَقْنَا الله لصَدَقَنَا ، بأن تكون لدينا نية صادقة للجهاد من أجل رفع راية الدين ، وصروح الأركان ، بأن تكون لنا خطة محكمة ، في زمن معين ، تبخر فيها ما هو منوط بنا من نشر دعوة الله - عز وجل - وتحقيق السلام في الأرض ، ومجاهدة الظالمين الغاشمين المعتدين ، الذين أفسدوا في الأرض ، واعتدوا على حرماتنا ، ومقدساتنا .

هذا ما ينبغي أن يكون عليه الخطاب الديني في زمان الضعف ، والهون . أن يشد من أزر الضعفاء وأن يبين لهم أن الدين قوة ، وأن الله - عز وجل - يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[1] .

(1) محمد : 7 .

www.ibtesamh.com/vb

وأن نصر الله معناه : نصر دين الله ودين الله عبادة معروفة ، وشعائر محفوظة ، وعمل وجهاد من أجل أن تكون الحياة أكثر رفاهية وجمالًا ، وأن الله - تعالى - يقول في سورة الأنفال : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[1] .

2 - شهوة المنافسة والتسابق :

من قديم عرف الناس تلك الشهوة المعنوية شهوة المنافسة والتسابق في الرماية ، وفي إطعام الطعام وفي الشعر ، الذي نصبت من أجله الأسواق ، كعكاظ وغيرها وبدأت بذور النقد في هذا التسابق ، وقيل فلان أشعر من فلان ، وقال النبي - ﷺ - ارموا بني إسماعيل ؛ فإن أباكم كان راميا ، ارموا وأنا مع بني فلان ؛ فتوقفوا عن الرمي ، وقالوا : كيف نرمي وأنت مع بني فلان ؟! قال عليه الصلاة والسلام : ارموا وأنا معكم كلكم .

والحق - تبارك وتعالى - يقول في سياق الحديث عن نعيم الجنة : ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[2] . وحين يصبح التنافس شهوة حلالًا ، بهدف الوصول إلى القمة في المتنافس عليه نرى للحياة طعمًا مختلفًا ؛ لأن الهدف أصبح غاية واضحة يبذل من أجلها كل جهد ، وهو تنافس شريف بحيث لو وصل مَنْ ينافسك إلى القمة دونك فرحت له ، ولم يعمك التعصب عن هذا المعنى ، فإذا بك تحاربه ، وتحارب أنصاره كما يحدث الآن من مشجعي كرة القدم .

ولو كان قول النبي - ﷺ - : «وأنا معكم كلكم» نصب أعيننا لما كان لدينا هذا التعبير «جماهير الأهلي .. وجماهير الزمالك .. وجماهير كذا وكذا» لكنا جماهير

(1) الأنفال : 60 .

(2) المطففين : 26 .

www.ibtesamh.com/vb

تشجع الجيد من الفرق ، ولما رأينا تلك الشنائع والمذابح ، والشتائم ولعلك تذكر الحرب التي كانت بيننا وبين الجزائر الشقيقة في كأس العالم بسبب كرة القدم ، والتي كادت تودي بالعلاقة بين الدولتين ، ولعلك تذكر ما كان فيها من فحش القول ، والسباب واللعان ، فضلًا عن الدماء والجراح .

أتقول بعد هذا إنها شهوة حلال ، أم أن آثارها تدل على أنها شهوة حرام ؟!

3 - شهوة القراءة :

نحن نعلم أن أول ما نزل من الوحي قول الله - تعالى- : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1] . وقد عشنا زمانا كان الكتاب فيه شهوة عند كثير من الناس ، بل كان الذي لا يلتحق بالتعليم يحب القراءة ، ويقتني الكتب ومن هؤلاء الكاتب المعروف عباس محمود العقاد صاحب المكتبة العظيمة ، والكتب الكثيرة ، والمؤلفات العملاقة ، وكان العقاد وغيره يشترون الكتب بالضروري من المال ، ويفرحون بالجديد القديم ، من التراث ، وغيره ، وكان الشاب خريج الجامعة يخطب فتاة في الإعدادية ، ويشترط عليها ألا تكمل تعليمها وتكون كما كان يقال : «ست بيت» ومع ذلك كان يمدها بالكتب والمجلات الدورية لتتثقف ، وتزداد علمًا ومعرفة وتربي أولادها ، وتحسن خطاب زوجها ، وكان ذلك بلا شك قبل ظهور التليفزيون ، وانتشار الفضائيات والنت ، وكل ذلك خطف الناس من الكتاب ، بلا شك آثر الناس الدعة والراحة ، واعتكفوا على المشاهدة وأهملوا الكتاب ، وإنْ رأى المنصفون أنَّ الْقِرَاءَةَ ما زالت قائمة ، وإنْ كان ذلك صحيحًا فلا شك أن النسبة قليلة جدًّا بالنسبة إلى عدد الناس ، تلك الجموع الغفيرة .

---

(1) اقرأ : 1 - 5 .

www.ibtesamh.com/vb

والمؤسف أن الأئمة والخطباء لا يشتهون القراءة ، بدليل ما نسمعه من الخطب والمواعظ ، وسوء الخطاب الديني ، الذي لم يرب شخصية ، ولم يبن إنسانًا ، على مبادئ الدين ومكارم الأخلاق ، خطاب ديني باهت شاحب في ضوء ما يقدم من قصص بلا سند ، ورقائق ، هدفها أن يذرف الناس الدمع ، والأدعية على الألحان ، وهي بلا ركائز تحقق الإجابة ، ومن مواكبة النظام ، الذي إن رأى عدم ختان الإناث صاح هذا وذاك بعدم ختان الإناث ، وأنّ ختان الإناث لم يرد أبدًا ، وأن فاعله آثم ، ومرتكبه مجرم ، وأنه حرام بإجماع .

وإن رأى النظام أن يكون هناك يوم لليتيم هو الجمعة الأولى من شهر إبريل من كل عام ، تحدث الناس في اليتيم وما له من حقوق علينا ، وتليت في ذلك الآيات والأحاديث ، والكلمات الرقيقة ، وأبيات الشعر .

شيوع بعض الشهوات

شهوة البدع

قال الله – تعالى – : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾[1] . يقول القرطبي : «والمعنى ما سمّى الله ولا سنَّ ذلك حكمًا ، ولا تعبد به شرعًا»[2] .

والبَحيرَة من البحر ، أي مشقوقة الأذن ، كانوا يشقون أذن البعيد ويكون ذلك علامة على التخلية ، أي الترك بدون راع ، والسائبة هي الناقة التي ولدت عشرًا متتابعة ، ليس بينهن ذكر ، فكانوا لا يركبون ظهرها ، ولا يجزُّون وبرها ، ولا يشربون لبنها ، إلّا إذا كان الشارب ضيفًا ؛ فلا حرج ولا بأس أن يشرب .

والبحيرة ابنة السائبة ، أي الوليدة الحادية عشرة كانوا يتركونها مع أمها .

---

(1) المائدة : 103 .

(2) تفسير القرطبي : 6/ 315 .

www.ibtesamh.com/vb

والحام : الفحل إذا انقضى شرابه ، كانوا يجعلون عليه من ريش الطواويس ، ويسيبونه .

والوصيلة من الغنم ، كانوا إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا ، فإن كان السابع ذكرًا ذبح ، وأكل منه الرجال دون النساء ، وإن كان أنثى تركت في الغنم ، وإنْ كان ذكرًا وأنثى قالوا : وصلت أخاها فلم تذبح لمكانها ، وكان لحمها حرامًا على النساء . ولبن الأنثى حرامًا على النساء إلّا أن يموت منهما شيء ؛ فيأكله الرجال والنساء .

وقد قيل غير ذلك ، المهم أن ذلك من البدع التي أبدعها الناس من عندياتهم ، والله قد نفاها ، وقال : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ ﴾[1] .

وفي سورة الأنعام مزيد تفصيل حيث قال الله - تعالى - : ﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ

(1) المائدة : 103 .

www.ibtesamh.com/vb

لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

فتدبر تلك الآيات تجد أن أهل الجاهلية هم الذين قالوا هذا حرام ، وهذا حلال افتراء على الله ، والله - عز وجل - لم يحرم شيئًا مما أحلوه ، ولم يحل شيئًا مما حرموه بل جعل الأنعام كلها حلالًا ، ذكورها وإناثها ، وهي للجميع للرجال والنساء ، وليس كما قالوا : هذا للنساء ، وهذا للرجال ، إنما حرم ربنا ما نص عليه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ به لغير الله إلى آخره .

وأعظم درس في هذا السياق هو الذي يتمثل في قول الله - تعالى - : ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾[2] . حيث قال الله - ربنا - : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[3] .

---

(1) الأنعام : 138 - 145 .

(2) الأنعام : 137 .

(3) الأنعام : 136 .

www.ibtesamh.com/vb

أي كما قال الناس بأفواههم هذا لله ، وهذا لفلان ممن يعبدون ، أو لصنم كذا مما يصبرون أيضًا بزعمهم قتلوا أولادهم بغير علم ، أي بزعمهم أن أبناءهم سيأكلون معهم ، وسوف يكونون سبب فقرهم ، وذلهم . والله - تعالى - يقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ﴾[1] . ويقول : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ﴾[2] .

لكن زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم كما زينوا لهم أن يقولوا : هذه أنعام وحرث حجر لا تطعمها إلّا مَنْ نشاء بزعمهم .

وبزعم كثير من الناس اليوم أمور كثيرة . هي من الشهوة بمكان ، شهوة الإفتاء بغير علم ، يقول لصاحبه أو زميله في العمل : أود أن أسأل شيخًا عالمًا في مسألة فيرد عليه : وما هذه المسألة ؟ فيقصها عليه ، فيهز رأسه ويضحك ، ويقول له : إنك رجل طيب ، وابن حلال ، ولا علم لك بالدين ، فإن هذه المسألة لا تحتاج إلى شيخ ؛ لأنها من أيسر الأمور ، وأنا أفتيك ، وأوفر عليك الجهد ، ويفتيه بغير علم .

ولذا أجد كثيرًا ممن يسألني يقول : قيل لي كذا وكذا ، والذي قال له : كذا وكذا هو الذي تطوع من أصحابه وزملائه ، أو من الدعاة الهواة الذين خرجوا على الناس فجأة ، وصرحوا بأنهم فقط دعاة ، ولا يفتون ، وإن هي إلّا أيام معدودة ، وأفتوا ، وخاضوا ، وأحدثوا ما أحدثوا من الفتنة ، وألبسوا على الناس دينهم .

إن الدرس المستفاد من شهوة الافتراء أن الذي يتجرأ على الفتيا ، يتجرأ على كل شيء ، فكما رأينا الذين قالوا : هذه أنعام وحرث حجر لا تطعمها إلّا مَنْ نشاء بزعمهم قتلوا أبناءهم .

---

(1) الإسراء : 31 .

(2) الأنعام : 151 .

www.ibtesamh.com/vb

وقد ظهرت بدع عند الناس كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان ومن أهمها :

1 - شهوة النذر، تراه يقول في كل مسألة : لو أن الله شفى ولدي ، فعلت كذا وكذا .

وقد ورد في الحديث أن النذر لا يأتي بخير ، إنما يستخرج به من البخيل ؛ ولذا رأى بعض العلماء أنه حرام بسبب هذا الحديث ، ولكن أكثر العلماء على أنه ليس بحرام إن كان نذرًا بطاعة ، ويقدر على أدائها الإنسان ، بأن ينذر أن يصوم يومًا ، أو أن يصلي ركعتين ، أو أن يطعم مسكينًا ونحو ذلك .

لكن الله - تعالى - يقول : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1] . أي بدون نذر ، المهم أن يكون الدعاء مرتكزًا على دعامة ، تحقق للداعي إجابة دعائه من أن يكون له رصيد من الخير عند الله - تعالى - قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[2] .

وكم أفتى الناس بعضهم بعضًا بالنذر ، إذا قال له : أرجو كذا وأسأل الله - تعالى - كذا وكذا ، أفتاه قائلًا : عليك بنذر شيء وكأن الدعاء لا يستجاب إلّا بنذر ، ويبدو - والله أعلم - أن ثقافة الرشوة سيطرت على هؤلاء الذين يفتون ؛ فكما رأوا أنه لا شيء ينجز إلّا بها ، رأوا كذلك أن الدعاء لا يستجاب إلّا بنذر ، وهذا وهم .

2 - وشهوة الاستخارة :

وكما قال له : انذر شيئًا لله ، والله يحقق لك سؤلك ، قال له كذلك : صل صلاة الاستخارة ، شهوة لا أكثر حتى رأينا أناسًا يصلون ويدعون بدعاء الاستخارة في

(1) غافر : 60 .

(2) الأنبياء : 90 .

www.ibtesamh.com/vb

كل شيء . وهي لا تكون إلَّا في الأمور المبهمة ، كالزواج مثلًا ، لكن هل هناك استخارة في الطلاق ؟

الجواب : لا ؛ لأن الاستخارة - وحكمها الاستحباب لا الوجوب - لا تكون إلّا في الأمور المبهمة ، والزواج مبهم لأن أخلاق الناس قبله قد تكون من باب الظاهر الذي لا يُدرى ما وراءه بخلاف الطلاق الذي يكون بعد العشرة والمعاشرة غالبًا فقد تبين الخلق على سبيل الواقع ، وأخذ الناس في الإصلاح ، ولم يجد شيئًا عند ذلك يكون الطلاق الذي محال الله - تعالى - فيه في سورة النساء : ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[1] .

ويبدو أن مسألة (تكبير الدماغ) وعدم إعمال العقل والأخذ بالأسباب سبب تلك الشهوة ، قال النبي - ﷺ - لفاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - تزوجي أسامة بن زيد ، وقد جاءته تستشيره في رجلين خطباها هما معاوية وأبو جهم ، فما قال لها : صلي يا فاطمة صلاة استخارة ، وإنما قال لها : إن معاوية صعلوك لا مال عنده ، وإن أبا جهم رجل لا يضع العصا عن عاتقه ، تزوجي أسامة فتزوجته ، فوجدت فيه الخير ، قالت : فكرهته ، لكن لما ذكره رسول الله - ﷺ - فلما تزوجته : وجدت فيه الخير كله .

3 - **وهناك شهوة آثمة باطلة** ، هي من البدع بمكان ، وهي أن يفتح الإنسان المصحف ، ويطالع أول آية في الصفحة التي فتحها ، ويعمل بمقتضاها ، فمثلًا إذا قرأ أول ما قرأ قول الله - تعالى - : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[2] . قال : سوف أوفق في عمل ، وإذا قرأ مثلًا قول الله

(1) النساء : 130 .

(2) التوبة : 105 .

www.ibtesamh.com/vb

- تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

قال : استوى العمل والقعود ، فلم يعمل ، وهكذا ، وهذا ضلال مبين .

4 - ومن البدع المنكرة في هذا السياق :

أن قارئ القرآن الكريم في سرادقات العزاء لا يقرأ الآية التي فيها ذكر النار ؛ يقول : إن أهل الميت لا يحبون ذلك ، ويعدونه من باب الفأل غير الحسن بالنسبة إلى ميتهم ، قال لي ذلك قارئ قرأ من قوله - تعالى - : ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[2] . وتجاوز قول الله - تعالى - : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾[3] . وقرأ : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾[4] .

فهل هذا يستساغ ؟! وهل في القرآن قص ولصق وهل الميت - والعياذ بالله - من الذين كفروا ، الذين يساقون إلى جهنم زمرًا ، حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل ... حتى يتشاءم أهله ، ويزدادوا حسرة عليه ، حسرة على فراقه ، وحسرة أخرى على دخوله النار ؟!

5 - ومن تلك البدع الاعتقاد في التطير :

وقراءة الفنجان ، والأبراج ، وغيرها ، وقد فصلت القول فيها في كتاب (تفسير اليقظة والمنام في الإسلام) فلا داعي إلى إعادته هنا ، لكني أذكر خلاصة في

---

(1) البقرة : 6 .

(2) الزمر : 70 .

(3) الزمر : 71 .

(4) الزمر : 73 .

www.ibtesamh.com/vb

هذا السياق أن شابًّا خطب فتاة ، وصادف أن أول ليلة دخل فيها بيتهم ماتت أمها صبيحتها فاعتذروا له قائلين بصريح العبارة : إن دخلتك كانت شؤما علينا فكيف نزوجك ، مع أنه ذو خلق ، وعمل حلال ، وبيت ، ولديه استعداد تام للزواج .

وياليتهم اعتذروا له ، بسبب سوء خلقه ، أو عجزه عن إقامة حياة كريمة ، تناسب ابنتهم ، أما ما اعتذروا من أجله فليس بمعتبر شرعًا ؛ لأن أم الفتاة ما ماتت بسبب دخول الخاطب ، وإنما ماتت لأنها استوفت أجلها ، والله - عز وجل - يقول : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[1] . ويقول : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ﴾[2] .

6 - ومن تلك الشهوات التي خير ما يطلق عليها «التقاليع» ومنها :

(أ) المشاهرة ، أي إذا دخل على الحامل أو العروس رجل حديث الحلاقة فقد شاهرها ، بمعنى عطل حملها ، وكذلك الداخل عليها من بعد دفنه ميتًا ، أي مرّ عليها بعد مشاركته في دفن ميت ، أي دخل عليها من المقابر مباشرة .

(ب) وكذلك المباعدة ، أي أن يجلس أحد بين عروسين ، من أخ أو قريب ، ويستثنى الطفل من ذلك حينًا ، ويندرج مع غيره أحيانًا ، تخطفه أمه بسرعة ، قد تكسر فيها ذراعه ، وهي تعتذر قائلة : اعذروني ، طفل ولا يدرك ، فلا باعد الله بينكما أبدًا .

(جـ) وشهوة إطلاق الأعمال السحرية ، السفلية والعلوية ، فكل علاقة فاشلة ، يقال فيها ، معمول لهم عمل ، فكل زوجة تشكو سوء معاشرة زوجها

---

(1) الرعد : 38 .

(2) آل عمران : 145 .

www.ibtesamh.com/vb

تقول : معمول له عمل ، دون أن تفكر في تغيرها هي ، وانقطاعها عن جميل عاداتها ، وسوء معاملتها وإصرارها على ما يغيظ زوجها ، برغم تكرار نصحه ، وتوجيهه ، وكذلك يقال في محل لا ربح من ورائه دون نظر في سوء بضاعته ، وغلاء أسعاره ، وسوء معاملة عملائه ، وقد حكى له صاحب محل في منطقة تجارية معروفة ؛ لا تخف فيها أرجل الزبائن ليل نهار ، وقال : برغم ذلك فالأرجل عندي خفيفة إن لم تكن معدومة ، بينما جاري ما شاء الله ، تبارك الله ، الزبائن عنده هكذا وهكذا ، ولمحت من حديثه أن الفتاة التي وضعها في مقدمة محله ملتزمة ، محجبة ، آية في الأدب ، بينما الفتاة التي عند جاره ، متبرجة ، تضحك وتسمع الدنيا ضحكتها من بعيد ، ووفقت إلى حل القضية التي رآها مَنْ حكى لي من قبيل الأعمال ، وحلها في تلك الفتاة التي كان حظي أن أراها عن غير عمد ، فقد زرت الرجل في محله ، ولم تحسن فتاته الرد على سلامي ، وحدثتني بجفاف وجفاء شديدين ، ومن عادتي أن أتبسط في الحوار ، وأن أقابل الناس ببشاشة ، فاستنكرت ذلك .

سألتها :

- ما اسمك يا ابنتي ؟

فبادرتني قائلة :

- أنا لست ابنة حضرتك .

- ولكنك مثل ابنتي !

- قالت : آ ....

- قلت : أين الحاج فلان ؟

www.ibtesamh.com/vb

- قالت : ماذا تريد ؟

- قلت : أريد كذا ، هل يمكن أن أرى منه عيّنة ؟

- قالت : لا ، ليس عندنا عينات .

- قلت : ما ثمنه ؟

- قالت : عندما تنوي الشراء أقول لك ثمنه .

- قلت : عندي النية ، والله .

- قالت : أنت يبدو عليك (التريأة) .

- قلت : أبدًا ، ناوليني كذا وكذا .

فأمرت فتاة أخرى أن تحضر لي ما أريد ، ورحمني الله بأن ساق إليَّ صاحبي ، صاحب المحل ، قلت في نفسي إن كثيرًا من الناس يرى الدين تزمتا وشدة ، وعبوسًا . وأن حسن المعاملة ضرب من التفريط ، وعدم الالتزام ، وأن الابتسامة في وجوه الناس دليل على قلة الأدب والدين مع أن النبي - ﷺ - قد صرّح بأن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : لا تحقرن من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق والمعروف كله صدقة ، كما قال عليه الصلاة والسلام .

وقلت لصاحب المحل يا صديقي ، إن العمل المعمول لمحلك هو تلك الفتاة العابسة ، التي لا تحسن استقبال الوافدين على محلك .

(د) وشهوة تأويل الخسارة ، بأن حرق الطهي خير ، فلو لم يحترق ، وأكلته الأسرة لأوجع بطون أفرادها ، فهل هذا صحيح ؟! وأن القسمة ليست لهم ، لو كان مقسومًا لهم لما أحرق .

www.ibtesamh.com/vb

وكل ذلك من الفساد بمكان ، فقد قال الله - عز وجل - لموسى - عليه السلام - : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[1] .

ولو استثمرنا هذا المعنى القرآني في هذا السياق لما أحرق لنا مصنع ولا مطبخ ، وما ضاع منا جهد ، أي إذا كان كل شيء نعمله على أعيننا لما خسرنا شيئًا إلَّا قليلًا غير مؤثر ، لكن معظم أعمالنا تكون بوضع حجر الأساس ، ثم نهمله ، فقلما تجد أستاذًا مشرفًا على رسالة جامعية يرعى تلميذه على عينه ، وقلما تجد أستاذًا في الطب يرعى مريضه على عينه خصوصًا إثر إجرائه عملية جراحية له ، إنما جرت عادة الكبار من الأساتذة أن يتركوا مريضهم لمساعديهم الصغار ، وللممرضات .

وكذلك ربة البيت التي تضع طبختها على النار ، ثم تتركها غرورًا بأنها سوف تدركها في الوقت المناسب قبل أن تحترق ، وتهاتف أمها ، أو أختها ، أو جارتها ، ثم تضرب على صدرها قائلة : عليه العوض ، ومنه العوض ، احترق احترق ويكون بالفعل قد احترق .

وكذلك الحال في تربية الأبناء على بعد ، لا على أعيننا ، الأمر الذي نتج عنه انحرافهم ، وفسادهم ، فساءت أخلاقهم ، وطباعهم ، وصاروا غرباء عن أهلهم .

7 - ضرب كفة اليد بالدم فوق الجدار ، والأبواب .

8 - ورش الماء أمام العريس ليلة الدخلة ، والملح .

9 - ووضع شيء من الدقيق أمام الباب الذي تدخله البهيمة المشتراة من السوق .

10 - وإذا ولدت البقرة أو الجاموسة وضعوا شيئًا من المشيمة عليها يزعمون أن ذلك يجعلها تدر لبنًا ، وتلد مرة أخرى .

---

(1) طه : 39 .

www.ibtesamh.com/vb

11 - وفي أول أسبوع للمولود يجمعون سبع حبات من البقول وتوضع في خرقة ، وتوضع في رقبته .

12 - وحُكِيَ لي أن أناسًا يدفنون أول ثمرة من الأرض فيها ، يزعمون أن الأرض بها ترضى فتسمح مرة أخرى بالإنبات ، وكأن الأرض هي التي تنبت مع إعلان الناس أن الله - عز وجل - هو الذي يخرج من الأرض نباتها ، يُسقى بماء واحد ، ويفضل الله بعضه على بعض في الأُكُل .

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

13 - ومن ذلك ذبح الذبيحة تحت نعش الميت ، ولا سند لذلك ولا أصل له ، وليس ذلك من آداب الجنائز ، ولا من شعائر الإسلام إنما السنة أن يضع لأهل الميت طعام ؛ لأنهم شغلوا بميتهم كما قال عليه الصلاة والسلام : «اصنعوا لآل جعفر طعاما ؛ فإنهم شُغِلوا بميتهم» .

14 - وفي هذا السياق الإصرار على ذبح ذبيحة عند شراء سيارة جديدة ، أو بيت جديد .

وبعض الناس يزعم أن صاحب السيارة الذي أصيب بها لم يذبح حين اشتراها ، ومن أجل هذا كان الذي كان من مصاب ، ولو أنه ذبح يوم اشتراها ، أو بعد شرائها بقليل لما كان من حادث ، ولما كان من مصاب ، وهذا فحش

(1) يس : 33 - 36 .

www.ibtesamh.com/vb

وضلال ؛ فالحادث إنما كان بسبب عدم اليقظة في القيادة ، أو عدم مراعاة تعليمات المرور ، من المصاب ، أو ممن أصابه ولم يكن الحادث قد حدث بسبب أنه لم يذبح من أجل سيارته الجديدة .

أو أن صاحب البيت الجديد ، عاش في ضيق نفس وسوء حال بسبب أنه لم يذبح يوم اشتراه ذبيحة .

إنما الضيق . وسوء الأحوال النفسية له أسباب أخرى معروفة عن سوء الأحوال العامة ، واضطراب أحوال البلاد ، وسوء معاشرة الأهل .

هذا ، وشكر الله - تعالى - على النعمة واجب ، حتى يزيدنا الله - عز وجل - منها ، ويكون ذلك بالصدقة ، التي هي أفضل العبادات . وأعلى مراتب الشكر ، لكن أن يكون ذلك بالذبح فهذا ليس من الإسلام ، لاسيما إشاعته حتى يُعْتَقَدُ وجوبه . فالذبح إنما يكون نسكًا فيما يأتي :

1 - الهَدْي بالنسبة إلى المتمتع والقارن في الحج .

2 - والأضحية لغير الحاج ، وهي سنة للقادر عليها .

3 - والعقيقة عن المولود ، وهي سنة للقادر عليها .

4 - والنذر ، إن نذر أن يذبح ، وقد تحدثنا عن النذر هنا في هذا الكتاب .

وقد ذكر الشوكاني في كتابه (نيل الأوطار) أن أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - لم يضحيا مدة خلافتهما ؛ حتى لا يظن الناس أن الأضحية واجبة .

ومعروف أن الإمام مالكًا صاحب المذهب لم يصم الست من شوال ، ولم ير صيامهن من السنة ، حتى لا يظن الناس أنهن من رمضان .

www.ibtesamh.com/vb

هذا ، ولا شك أن كل بدعة تظهر تصحبها شهوة ، ويبدو أن البدعة بنت الشهوة ، فلولا شهوة العلم عند العلماء ما اخترع الجديد ، وما اكتشف طريق ، وسوف يظل ذلك إلى يوم القيامة ، وبناء عليه فإن الشهوات سوف تظل والبدع على لقاء دائم ، وما دامت البدع منها حلال وحرام فكذلك الشهوات ، منها حلال وحرام .

فلو أنّ عالمًا علامة اكتشف جديدًا يزيد الحياة رفاهية وجمالًا ، فإنّ اشتهاء الناس لذلك الذي اكتشف حلال ، وإن اخترع مبتدع صنفًا جديدًا من الخمور والمخدرات ، أو من اللهو الذي لا خير فيه فإن اشتهاءه ، بلا شك ، حرام .

فاللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، وأغننا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، أنت ولينا ومولانا وهادينا إلى سواء السبيل ، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الغر الميامين ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أ. د. مبروك عطية

www.ibtesamh.com/vb

www.ibtesamh.com/vb

المحتـــويات

الموضـــــــوع	الصفحة
مقدمة	5
الفصل الأول : الشهوات الحلال	11
حلال الشهوات	19
شهوة المال	29
شهوة النساء	34
الشهوات الممنوعة إلى أجل :	40
1 – شهوتا البطن والفرج للصائم	40
2 – وطء الزوجة في مدة الحيض	42
3 – الجمع بين الأختين	44
الفصل الثاني : الشهوات الحرام	49
السبع الموبقات	52
شهوة الرياء	60
شهوة السرقة	62
شهوة الخمر	64
شهوة الزنا	65
شهوة التجسس	69
شهوة السخرية	71
شهوة الكذب	71

www.ibtesamh.com/vb

شهوة اللغو 73
ثلاث شهوات محرمة 77
شهوة الغيبة والنميمة 79
شهوة لهو الحديث 84
شهوة الكبر 87
شهوة التعويق 89
شهوات مستحدثة 90
1 – شهوة المضاربة في البورصة 90
2 – شهوة الجلوس على المقاهي وفي الأماكن العامة 91
3 – شهوة المشاهدة للتفاز 91
4 – شهوة الديلفري 91
5 – شهوة الشات 92
6 – شهوة الإسراف في استعمال الهواتف 92
ومن الشهوات الحرام 93
الطمع 93
الغش 95
الفجور في الخصومة 99
شهوة الأنانية 104
شهوة إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا 106
الحسد 107
التباغض 109
اختفاء بعض الشهوات 109

www.ibtesamh.com/vb

1 - شهوة قتال أعداء الله 109
2 - شهوة المنافسة والتسابق 112
3 - شهوة القراءة 113
شيوع بعض الشهوات 114
شهوة البدع 114

www.ibtesamh.com/vb

التحويل لصفحات
فردية والمعالجة
فريق العمل بقسم
تحميل كتب مجانية

بقيادة
** معرفتي **

www.ibtesamh.com/vb
منتديات مجلة الإبتسامة

شكرا لمن قام بسحب الكتاب

www.ibtesamh.com/vb